

الحرية

للنشر والتوزيع

روايات أحلامي

● روايات أحلامى سلسلة رومانسية

تصدر عن الحرية للنشر والتوزيع

● كل شخصيات هذه الرواية من نسج الخيال،

واي تشابه بين هذه الشخصيات وشخصيات

حقيقية تكون بمحض الصدفة

تقـــدم...

«روايــات أحلامــى»

نهراً من الحب... الحب الذى يلون الدنيا

بألوان الربيع.. الحب حيث لا خريف أبداً..

الحب حيث الورود والرياحين..

حيـث الحيـاة..

وروايات أحلامى... تُسهم بالحكايات عن زمن الحب

والأحبة فى هذا النهر الجارى والرائع «نهر الحب»

فتعالوا لنبحر فى نهر «أحلامى»

على أمواج الرومانسية.



لقاء غير متوقع

دخلت لوسى دار الأزياء ونظرت مـفكرة إلى برنارد تروتل، تتساءل كيف ستخرج من المأزق الذى هى فيه. ونظر إليها ثم أدار ظهره إلى زبونة مهمة، سائحة على وشك شراء آخر تصميمات لوسى.

برنارد هو شريكها، وصديقها، وزميل فنان. ويديرا دار الأزياء معاً، وعلى الرغم من إنه أكبر منها سناً فقد كانت شريكة كاملة معه. فكبر سنه لم يكن يجعله أذكى منها، فله أطباع فنان غير مستقر، تتفجر فى أوقات شاذة... وتوقعت منه الأنفجار عندما ستخبره حول مهمة الرحمة التى ستضطر للقيام بها.

وبوجود عرض قادم خلال شهرين، ولأنه جاهز تقريبا، فإن عليها أن تبقى هنا لتعمل.. فالثياب لا تصمم نفسها..

ولكن ليس هناك من بديل آخر أمامها. عليها أن تذهب إلى جزر الأنتيليس.. إلى جدها. ولكن برنارد لا شك سيقتلها لهذا.

وأدهشها أن تراه يلقى بفتنته.. وجهه الرقيق مفعم بالحيوية. وهو يلف الفستان ليضعه فى علبته بيديه الفنيتين الطويلتين، بأمكانه أن يكون جذابا جدا عندما يهتم بنفسه، وأحيانا كانت تهزه حول مظهره.

شعره الطويل غير مرتب، ورباط حول رأسه يظهره ما بين الهندى الأحمر والرجل المتوحش.. قميصه ملطخ بالألوان، مع الجينز الجديد. ليس فيه سوى خطوط سوداء برفع حد السكين. وبما أن النهار دافء لم يكن يرتدى إحدى (كنزاته) وهذا أمر جيد لأن معظمها يحتوى على ثقوب عند المرفق.

بعد خروج الزبونة قالت له لوسى مطرية:

تبدو رائعا بشكل خاص هذا الصباح. فهذا الجينز يناسبك.

فاستدار إليها بعينين مهددتين:

إنه جديد.. أعطني يومين وسألطخه بالدهان... والآن وقد انتهى وقت الأطراء، فلنتحدث بالأمور المهمة. لقد تأخرت خمسا وعشرين دقيقة. واضطررت للنزول إلى هنا دون أن أغسل وجهي حتى. وهذه الزبونة التي خرجت كانت ستذهب عندما وجدت الدار مقفلة... حتى أنني اضطررت لجرها إلى الداخل تقريبا.

صحيح إنه أكثر شخص غير مرتب، وشعره البني يصل إلى كتفيه والرباط على رأسه وكأنه ثابت. إلا أنه من ألمع الفنانين، وبارع في عمله على الرغم من مظهره البوهيمي. وصاح بها:

توقفي عن النظر إلى قميصي، ولا تفكري أبدا بالقول لي أن أكويه ولسمع أعذارك، لقد اتفقنا أن أنام أنا حتى العاشرة، وأنت تفتحين الدار باكراً. وها أنت تتراجعين.

لدي مشكلة..

ولكنه قاطعها ملوحا بذراعه النحيلة:

أعلم كل شئ عن أمك، وبينما أعترف أنها تعيقك بإعاقتها، فعليك أن تكوني قد أعتدت عليها... فأنت

تعيشين معها منذ أربع وعشرين سنة... وكان يجب أن ترضيها.. فاخرجي بعذر أفضل.

وبدا لها أن إطلاق القنبلة الآن مناسب، فنظرت إليه وقالت:

أنا مسافرة إلى (كاراكو).

وضاقت عينا برنارد، ولكنها أمسكت بأعصابها.

(كاراكو) هي جزيرة في الكاريبي.. ولا يمكنك الذهاب إلى هناك لقضاء إجازة ساعة! ولقد اتفقنا أننا بحاجة إلى تنفيذ ثلاثة تصاميم على الأقل للمعرض. لذلك فكرة (كاراكو) مرفوضة.

ولكن لوسي تمسكت بالموضوع.. فالسفر إلى كاراكو ليس أمرا تستطيع أن تنساه.

لا يمكن أن أترك الموضوع يا برنارد، جدي مريض، لقد تحدثت معه على الهاتف ولم أفهم أو أسمع ما يقول.. وأعرف أنه مريض..

وحدق بها بقساوة للحظة.

الأفضل أن تكون روايتك صحيحة.. سأصنع فنجاني

قهوة وتشرحى لى ما حصل.

وتطوعت لوسى لصنع القهوة على الفور، فهى لا تريده أن يخفقها بفرشاة رسم.. وقالت شارحة وهى فى المطبخ الصغير التابع للدار:

لقد تلقت أمى رسالة اليوم. لقد التقط جدى نوعا من المكروب وتريدنى أن أذهب لأراه.

هذا لأنها لا تستطيع الحركة بنفسها.

اوه برنارد.! أنت تعرف أمى.. ولكننى رفضت الذهاب، ولكن بعد حديثى على الهاتف مع جدى غيرت رأيى.. أظنه مريض حقا، وهو فى السبعين.

والتوت شفتاه بخشونة وهو ينظر إليها:

لك قلب مرهف يا لوسى، أليس كذلك؟ قلبك لا يزال رقيقا كما لو أنك لا زلت فى التاسعة عشر. والآن تدعينى أشعر بالقذارة لأننى فكرت بالدار وبالعرض القادم.. ولكننى أعرفك، فمتى صممت، فلن يمنعك شئ... فاذهبى بحفظ الله.

تعال معى..

لقد قلت إذهبيمع حفظ الله، ولم أكن أفكر بنفسى... فواحد منا يجب أن يعمل.. ومن الواضح اننى أنا من سأعمل.

بإمكاننا أن نعمل هناك.. إنه مكان جميل وهادئ وبأمكاننا تنفيذ أجمل التصاميم لنعيدها معنا إلى هنا.

وبدا مصدوماً.. ولكنها استطاعت رؤية بريق الأهتمام فى عينيه، قليل من الأقناع وسيستسلم.. ولكنه قال:

وتنسى أننا نملك دار أزياء؟

لقد فكرت بهذا.. سنضع يافطة أن الدار مقفل للتصليحات وتغيير الديكور. ويمكن استخدام نفس اليافطة للدعاية للمعرض.. وهذا سيجذب الأهتمام.

أو سيجلب خسارة، ويمكن أن يؤدى هذا إلى إفلاسنا.

ونظر إلى تعبيرات وجهها المتوترة، فضحك:

لوسى.. أنتِ دائما هكذا.. مستحيلة. حسن جدا.. لقد ربحت موافقتى.. ولكن قبلى وجهى بنعومة.

فأجابته بمرح:

عندما تغسله. وأنت بحاجة لبذلة تأخذها معك.

فقال ساخرا:

أتظنى أننى أملك بذلة؟ فى خـــزانتى يوجــد بعض الملابس النظيفة.

ضعها فى الحقيبة.

وضحكت بعد أن أقفل الباب وراءه واتجه إلى شقته فى الجهة المقابلة من الشارع. وماتت الأبتسامه على وجهها.. وأحست بالذنب. فالواقع أنها لم تخبره الحقيقة الكاملة، بل جزء منها. فهناك أكثر من مرض جدها وصحته. فلو أن شكوك أمها كانت صحيحة، فهناك من سلب جدها أمواله.

الرسالة التى وصلت اليوم جلبت التوتر إلى وجهها هى أيضا بعد أن قرأتها. فجدها سيبيع مركبه وأرضه اللذان يملكهــمــا منذ سنين طويلة، وربما الكثـيــر من ممتلكاته أيضا، فهناك صديق له ينصحه بذلك. ونظرت اميلى ماكدونالد لتلتقى بعينى لوسى القلقتين. وقالت:

لابد أنه محتال نذل من الجزيرة.

وبعد حديثها مع جدها، وسماعها قلقا فى صوته لم تسمعه من قبل، قررت أن تسافر إلى كاراكو وتلقى القبض على ذلك المحتال بالجرم المشهود.

ولكنها بحاجة إلى غطاء.. وبرنارد رائع. فلن يهتم أحد بفنان ومصممة أزياء. وخاصة إذا كان بمثل منظر برنارد. وعليها أن تقوم ببعض التحقيقات، وإذا لاحظ ذلك المحتال شيئا، فسيحطات. وهناك شئ بارز حول برنارد لا مجال للشك فيه! من السهولة ملاحظته فمظهره غريب. وستكون هى مختبئة فى الصفوف الخلفية إذا كان معها.

ومع أنها لم تزر جدها منذ أكثر من خمس سنوات، إلا أنها تعرف الجزيرة شبرا شبرا، ولا يمكن أن تتغير. وجدها الآن بحاجة لها كما كان دائما.. وإذا ظن أحدهم أن بإمكانه العبث به فهو مخطئ!

بعد أسبوع، كانت السفينة تدخل ميناء ويلمستاد عاصمة جزر الأنتيليس.. ولوسى وبرنارد على سطحها يتفرجان على صفوف المبانى الملونة على جانبى الميناء.

وتنشــقت لوى الهــواء المألوف لديهــا. دافئ ولذيذ، والإبتسامة تتسع على وجهها.

نظرة أولى على وجه جدها أكدت لها إنه فعلا مريض. وحسب قال كان هذا مجرد هجوم لنوع من الڤيروس.. ولكن وجهه كان شاحبا ومن الواضح إنه لم يشف تماما بعد.

وكان توماس براوننغ، والد أمها، مهندس، بحرية قديم، وعندما زاراهما آخر مرة لم يكن يظهر عليه أى أثر للمرض. وكان يومها تواقا للعودة إلى جزيرته الصغيرة التى أصبحت موطنه منذ ثلاثين سنة. ولكنه الآن مريض ويبدو عليه الكبر فى السن. وفكرة أن يستغله أحد فى هذا السن جعلها تجن غضبا.

وسرعان ما انتشر الخبر بأن حفيدة توماس براوننغ فى الجزيرة وتذكرها العديد من السكان. فالسنوات زادت من أهمية جدها فى جزر الأنتليسى، وعلى هذه الجزيرة الرائعة كان السكان يحبونه جدا.

المشكلة كانت كيف ستبدأ تحقيقاتها. فاستجوابات مبطنة من جدها لم تصلها إلا إلى ردود مبهمة. فهو لا

يعرف شيئا عن الأعمال التجارية، وصديق محلى له ينصحه، وهذا الرجل صديق له منذ خمس سنوات. إذن هذا هو المحتال، الذئب فى ثياب كاريبية. ويجب أن تكون شديدة الحذر إذا كان جدها يثق بهذا الرجل..

كانت تقود دراجتها عند الشاطئ ساهمة تفكر بماذا ستفعل، وكيف ستبدأ، عندما سمعت صوتا باللغة الأنتيلية المحلية يصيح.. فنظرت من حولها فى الوقت المناسب لتجد أن ولدا يركب دراجة على وشك أن يصدمها. هدفه كان ركوب الدراجة فوق جدار صخرى أقرب ما يكون إلى الماء دون الوقوع.. ونسى وجودها أمامه وهو يمارس حذاقته وسرعته فوق الحجارة غير المتساوية.

الكلمات الجافة المتسرعة جاءت من رجل مد يده بسرعة ليقبض على مقود الدراجة ويوقفها على بضع أقدام منها، ويسبب الذعر للفتى وهو يمسك به بثبات بيده السمراء.

بيدرو! وأصيبت لوسى بموجة ارتجاف. أنها تعرف هذا الصوت ولكنها لم تتوقع سماعة ثانية. ولكن لم يكن هناك مجال للخطأ فى ذلك الجسد الطويل الأسمر، وتلك

اليد السمراء القوية والشعر الأسود السميك الذى يشع تحت ضوء الشمس.

ماذا يفعل بيدرو دى سانتانا هنا فى هذه الجزيرة الصغيرة النائمة؟ إنه غنى ومهم، يقضى حياته ما بين البارزين، والسياح عادة لا يأتون إلى هذه الجزيرة، وفى مطلق الأحوال هو ليس بسائح. ولو أراد الراحة لطار فى طائرته الخاصة حول العالم.. وتصاعدت كل مرارتها، التى لم تكن قد ماتت..

سوف يتعرف إليها بالتأكيد.. لقد مرت خمس سنوات منذ أن رآها آخر مرة. شعرها الآن أقصر ومغطى بغطاء براق. ونظارتها تخفى عينيها الخضراء. وجسدها لم يعد ينبض شبابا. وما أن أدار انتباهه لها حتى كانت مستعدة لمواجهته. وقال لها:

أنت تفتشين عن المشاكل سنيوريتا.. فهذه الطريق هى عادة مكان يتسابق فيه الأطفال على دراجاتهم، يتحدون بعضهم بمن يقترب أكثر من الحافة.

وتلاشت الصدمة لرؤيته أمام تذكرها لمن هو، لمجرد

سماع صوته.. لقد كان يتصور إنه أمام غريبة عنه ومع ذلك فلم يمنعه هذا من التحدث بتلك اللهجة السلطوية المتعجرفة. وردت عليه بأدب.

لم أقابل أية مشاكل من قبل. على كل ما أفتش عنه هو المنظر الجميل. وهذا هو المكان الوحيد الذى أتمتع بالنظر منه.. وفى المستقبل سوف أكون أكثر حذرا. شكرا لك على مساعدتك.

صوتها كان باردا، وكأنها تعرفه عنها، دون أن تكشف أى اضطراب فى نفسها.

أنت أميركية.. كان يجب أن أعرف. يوجد هنا أماكن سياحية وهناك خطر كاف لأمرأة وحيدة. فالنساء الأميركيات يتصرفن بغباء.. هل أنت مع أصدقاء؟

وشعرت بالأمتنان لأنه لم يتعرف عليها.. الصدمة كانت لا تزال ترجفها ولكن الغضب كان يتصاعد أيضا بينما الذكريات تتدفق فى ذهنها.

شكرا لأنقاذك لى. سأذهب الآن إذا كنت لا تمانع.

وكرهت أن يكون بقربها من جديد.. فهى تكرهه.. خمس سنوات من دفع التفكير به إلى زوايا النسيان فى دماغها لم تدفن تلك الذكريات وأحست بقشعريرة على مؤخرة عنقها، وكافحت لتبقى هادئة.

هل تقيمين فى الجوار؟ فى كوخ أحد الصيادين؟

لا..

إصراره أزعجها، وجعل صوتها يبدو نافذ الصبر. وتمنت لو يذهب بسرعة قبل أن يبدأ بالتذكر. وقبل أن تفقد كل سيطرة على نفسها وتقول له أن يلتزم بشؤونه الخاصة. وردد متساءلا:

أنت واحدة من هؤلاء الناس اللذين يخيمون على الشاطئ؟ ولكن هناك خطورة فى البقاء وحيدة.

كيف يجرؤ على التدخل بشؤونها هكذا؟ ليس لديه أية فكرة عمن تكون. ومن الواضح إنه سيتصرف هكذا مع أى كان. واستطاعت تذكر كيف أنها فشلت فى الرؤية من خلال نفسيته عندما التقيا فى نيويورك، ولكنها الآن قد تجاوزت سن الغباء... ورمت بالكلمات بحدة:

أنا لست وحدى!

وكيف وصلت إلى (كاراكو)؟

صـديق لجـدها جـاء بهـمـا فى مـركب سـريع من ويلمستاد، ولكنها قالت بسرعة:

لقد قدمنا فى مركب صيد منذ بضعة أيام.

قدمنا؟

صديقى وأنا.. والآن إذا كنت لا تمانع..

ولم تتح له فرصـة الرد، فـقـد انضـم إليـهـمـا صـوت متجهم ثقيل الظل.. ومن زاوية عينيها رأت لوسى، إمرأة جميلة، كثيرة الزينة، تربط ذراعها بذراع بيدرو..

إنها واحدة من المخيمين على الشاطئ. أتعرفها بيدرو؟

واستدارت لوسى لتشاهد إبتسامة على وجهه الأسمر. فمن الواضح أنه يجد الأمر مضـحكا، حتى لهجة تلك المرأة المهينة.

غضبـهـا كـان يتـصـاعـد فى كل لحظة، ولكن فـقـدان السيطرة عليه سيكون من الغباء... فلديها أشياء أخرى

تقوم بها فى هذه الجزيرة.

وسألها بعجرفة:

هل أنت بحاجة لثمن طعامك وأنت هنا سينوريتا؟

لدى المال.. شكرا لك، حتى ولو لم يكن معى فصديقى غنى...

على كل ليس لدى شئ أبيعه لك مقابل مالك.

ونظرت نظرة ذات مغزى إلى المرأة الأخرى:

أنا لا أبيع شيئا.. على الأطلاق.

وعلى الفور احمر وجه المرأة بألم. وزاد الغضب من دكنه وجه بيدرو وهذا ما ناسب لوسى كثيرا. فاستدارت لتذهب وهى واثقة أنها لو بقيت فستنفجر أو أن حظها سيفلت منها. فسألها ببرود وقد تخلى عنه مرحه:

هل نحن من يبعدك عن هنا؟

فلنقل فقط أن مزاجى قد تغير.. وقد اختفى اهتمامى بهذا المكان فجأة.

وقال ببرود متجمد:

ربما كان على أن أترك الولد يدفعك بدراجته إلى الماء؟

ربما..

واستدارت لتركب دراجتها من جديد، وتقودها فى الأتجاه المعاكس للمكان الذى يجب أن تذهب إليه. ولم تتنفس الصعداء حتى أصبحت آمنة داخل فيلا جدها.. إنها متأكدة الآن من شئ واحد! إلى أن يغادر بيدرو دى سانتانا (كاراكو) فهى ممنوعة من الذهاب إلى الشاطئ. ولكنها هنا مع برنارد، ستتضايق، لأنه يجب دائما أن يتدخل بشؤونها.. ويرغب دوما فى رؤية ما رسمته من تصاميم.. وكذلك فامتناعها عن الخروج سوف يؤخر تحقيقاتها، أيضا.

لماذا قررتى التخلى عن نزهتك يا عزيزتى؟

ونظر إليها عن قرب.. فتنهدت:

اوه يا جدى.. لقد قابلت شخصا أزعجنى، وهربت منه حتى لا يعرفنى..

أين؟ هنا فى (كاراكو) قولى من هو وسوف..

أوه.. إنه مجرد سائح.. هل انتقل أناس جدد للسكن فى الجزيرة؟ مؤخرا؟

جديد.. يا عزيزتى هنا لا يحدث أى شئ جديد مطلقا. فليس هناك ما يجذب الناس إلى هنا ما عدا الجمال، ولكن بعدها يكفى ليبعدهم عنها.. لا.. ليس هناك من جديد هنا.

إذن.. ما عليها سوى أن تبقى بعيدة لبضعة أيام وسوف يذهب. ربما كان هنا لمجرد قضاء يومه.. وتلك المرأة لا تبدو قادرة على تحمل البقاء فى مكان كهذا. وليس هناك شئ لبيدرو دى سانتانا ليجرى وراءه. فأكثر فتيات الجزيرة يبدين فى السادسة والخمسين!

لقد كان أول إمتحان حب فى حياتها... ولم يستطع أحد أن يثير اهتمامها بعد ذلك الصيف... فقد احترقت أصابعها كفاية، وعادت إلى نمط حياتها المتحفظ، بعد أن شفيت. وعادت كما كانت، لوسى التى تسير فوق الريح، بعيدة المنال. فنها هو الحب الوحيد فى حياتها. ولن يحصل أحد على هذا الحب أبدا.

كانت يومها فى التاسعة عشرة من عمرها، حياتها فارغة تماما ودون هموم، وكانت قد أكملت لتوها السنة الأولى فى مدرسة تصميم الأزياء وكان فنها يلفت الأنظار، والدها (السير جورج ماكدونالد)، صاحب ورئيس مجلس إدارة (خطوط ماكدونالد للطيران) هو من أصل اسكتلندى سافر أسلافه إلى أميركا ولقد ورث الثروة واللقب عنهم... وكان يقيم حفلة لأعضاء المؤتمر السنوى للشركة فى منزله ذلك العام. وكانت لوسى قد تمكنت حتى الآن من التهرب من أية حفلة عشاء. ولكنها بلغت الآن التاسعة عشرة، ولن تستطيع التهرب وخاصة بما أن ضيوفهم، بمن فيهم قطب كبير من عالم الطيران فى منطقة الكاريبى، سيقيمون معهم بعد إنتهاء المؤتمر.

وذهب حشد المؤتمرين، وبقى عشرة منهم فقط... واقتربت ساعة لقائها بالمدعوين على العشاء.. ودخلت اميلى ماكدونالد الغرفة ونظرت إلى ابنتها:

لوسى! يجب أن تنزلى الآن على الفور، ماذا سأفعل بك؟ يجب أن ترفعى شعرك.. أريدك متألقة الليلة فالسيد

دى سانتانا رجل فاتن ومثقف ومعتاد على أن تحيط به الجميلات.

هل جاء بأحدهم معه؟

لم يفعل! فالمفروض أن لدينا واحدة هنا. وتجاربك الإجتماعية قليلة يا لوسى. فاستعدى وعلى الفور، ولا تكونى متوترة! لقد التقيت بالسيد دى سانتانا منذ سنتين. ولاداع للقلق.

وخرجت أمها بموجة من التوتر الغاضب، واتسعت ضحكة لوسى بإحساس غريب وكأن النجوم لمستها. وانقطعت أنفاسها، واقشعر جسدها من الأحساس بوجوده، وهذا الشئ لم يحدث لها من قبل.

السيد دى سانتانا يا حبيبتى هو ضيف الشرف.

وبدا أن ابتسامتها الضعيفة قد أذهلت الغريب الأسمر.

فارتفع حاجباه السود بحيرة

كنت أظن أنك لا تخرجين أبدا من مشغلك! منذ سنتين لمحتك للحظة ثم اختفيت. ويشرفنى أن تكونى معنا الليلة.

وردت لوسى بعذوبة:

لقد تلقيت الأوامر لأكون هنا.

فضحك والدها وأحاطها بذراعه:

لوسى تقول دائما أى شئ يخطر ببالها. أيمكن أن تعذرنى قليلا بيدرو.. فهناك شخص يحاول لفت انتباهى.

وتركهما. واجتاحتها رغبة مذعورة بالركض قلقة، ومشاعرها تهتز كما لم يحدث لها أبدا من قبل.

لقد أغضبتك بطريقة ما، مع أننى لم أكن أقصد.

فتمتمت بصعوبة، خجلة أكثر منها محرجة:

ربما أنا المتوترة.. فلم أتلق الأوامر بالحضور فقط، بل يتوقع منى أن أكون متحذلقة وفاتنة. وهذا أكثر من طاقتى.

فضحك، وأحست بصوته يلتصق ببشرتها، وتحرك أمامها حتى أخفاها عن نظر أمها.

وهل هذه أوامر اللايدى ماكدونالد.؟ ولكنك صغيرة جداً بعد على الحذلقة والفتنة. أنت فقط فى التاسعة عشر.

وكيف عرفت؟

كنت فى السابعة عشرة عندما زرتكم آخر مرة.. أنت كفراشة قد برزت من شرنقتها من جديد. صغيرة جداً وجميلة جدا، حتى أنك قد لا تدركين هذا. وأنت لست بحاجة للفتنة.

أتمنى أن توافق أمى معك.

لم يكن قد تحدث أحد إليها هكذا، حتى ولا كمزاح. ولم تكن تعرف تماما ما عليها أن تفعل. فأمها محقة، تجربتها الأجتماعية قليلة. ولم تندمج مع أحد من قبل. وقال بيدرو:

سوف أخبرها بهذا إذا أصبح الأمر ضروريا. هل تسمحين بمرافقتك إلى مائدة العشاء.

وأرادت ذلك، كثيرا، ولكنها لم تجلس إلى قربه.. وبدا أنه هدف كل إمرأة كانت هناك. وهذا ما جعل لوسى تبدو صغيرة جدا وليست فى مكانها الصحيح، إلى أن رفعت نظرها إليه لترى عيناه السوداء مركزتان عليها.

وبدأ شعور ما يتفتح داخلها، مهدداً بأن يذوب وينتشر أكثر فى كل عروقها. فأشاحت بوجهها بسرعة وعندما أعادت النظر، كان لا يزال يحدق بها، وابتسامة رضى هذه المرة تنتشر على وجهه. وأحست أن فى عينيه حديث، لا تعرف ما هو.

بعد العشاء، وفى غرفة الأستقبال، تقدم نحوها، ولكن والدها أمسك به وشاركه فى الحديث.. فهربت لوسى إلى غرفتها.

وكان هذا منذ زمن بعيد.. ولم يعد الأمر مهم الآن. فالألم قد تلاشى.. ووقفت لوسى لتنظر إلى الميناء، وقد أزعجها أن خططها ستتأخر. ولو حاولت أن تتابعها، فقد يشاهدها ثانية ويتعرف إليها. ولابد إنه لديه ذاكرة.. حتى ولو كانت بعيدة عنها فى الوقت الحاضر.

كذبه كامله

وجدها جدها فى الصباح الباكر تروح وتجى قلقة مع أنها كانت تحاول أن لا يظهر عليها ذلك. فنظر إليها ثم تجاهلها.. وكانا فى الشرفة الأمامية المطلة على البحر.. وخلف المنزل كانت جوانب التل ترتفع بحدة تغطيها خضرة شجر الزيتون والصنوبر.

كان فى أعلى التل منزل مدمر قديم، ملك لجدها فى جزء من أرضه، منزل ضخم كبير كانت تجوبه خائفة فى طفولتها. المنظر من شرفة الفيلا جميل جداً، ولكن من التلة المكسوة بالخضرة، ومن على جدران المنزل القديم، المنظر يقطع الأنفاس.. فالشاطئ يحيط به أشجار الصنوبر والبالم، والمياه تتغير من اللون الأزرق إلى اللون

الأصفر، والمنظر يزال عالقا فى ذهنها. وسيكون متعة جديدة لها بانتظار سفر بيدرو (كاركاو).

ونظر إليها جدها:

هل يمكن أن تتوقفى يا عزيزتى.. عادة أنت من أهدأ الناس ولا أعرف ماذا دهاك. هل قررت هجر عملك بتلك التصاميم؟

لا.. ولكننى وصلت إلى نقطة صعبة لم أستطع تجاوزها، وسأتركها اليوم. وأحاول أن أقرر ماذا أفعل فى هذه الأثناء. أظن أننى سأبدأ بدراسة تصميم جديد. فأنا غالباً ما أعمل على تصميمين دفعة واحدة.

وهكذا تحولت عن الحقيقة إلى كذبة كاملة. وعاد إلى كتابه:

آه.. جيد!

ومع ذلك فقد دفعها إلى العمل. وبدا أفضل حالاً اليوم ولم ترغب فى أن تقلق عليه، وعملها الأستجوابى سيتأخر.

المنزل المدمر كان يبعد كثيرا عن الشاطئ. وبعد نصف ساعة كانت قد بدأت تتسلق التلة الشديدة الأنحدار خلف المنزل، مستخدمة الطرق القديمة التى هجرت منذ زمن

بعيد، وأوراق الرسم تحت أبطها ومعداتها تتعلق فوق كتفها بحقيبة صغيرة.

وتقريبا عند القمة.. وقفت لتستريح واستدارت لتنظر إلى البحر.. المنظر يستاهل هذا التسلق الشاق.. من تحتها.. إلى اليمين استطاعت أن تشاهد الميناء الصغير وقرية الصيادين. فى ساحتها رجال كبار فى السن يجلسون تحت ظل الأشجار يشربون.. والكنيسة البيضاء بسقفها الملون.. إلى اليسار، يمتد الشاطئ إلى الجنوب، يخلو من السياح، والبحر أزرق وتركوازى عند كل تحرك للموج، تماما كما تذكره.

وتابعت التسلق، تاركة أشياءها عند جانب التل.. ولكن ما أن وصلت إلى القمة، حتى فغرت فمها مذهولة. لم يكن هناك بيت خرب، فالمنزل تم إصلاحه، كل جزء منه أعيد إلى جماله الأصلى.. إنه جزء من الأرض التى باعها جدها. إحدى أثمن ممتلكاته التى استولى عليها ذلك المحتال المجهول.

ورأت أن طريقاً قد شقت للوصول إليه، من خلف التل،

لذا لم تشاهدها من منزل جدها، وكانت الطريق تنتهى إلى باحة عريضة يقف أسدين من المرمر يحميان بوابتها، وأمام الباب باحة مرصوفة بالحصى على جانبيها مساكب من الأركاديا والأرتازيا الزهرية الحمراء وأشجار برتقال مزهرة كانت تزيد المدخل جمالا. أشجار ورد أحمر متسلق كانت تلف النوافذ وشجرتا بلح مذهلتا الجمال تلقيان ظلهما على مياه نافورة رائعة!.

وللحظة وقفت لوسى دون حراك، وقد صدمها جمال المنزل. وكائنا من يكون صاحبه، فإن له ذوق، وعليها الآن أن تعرف من هو. ويمكنها أن تطلب من صاحبه الأذن بأن ترسم هناك مستخدمة مناظر المنزل كخلفية لتصاميمها.

وقاطع أفكارها صوت سمعته مؤخرا، وتذكره تماما:

بيدرو! بيدرو! أين أنت! على الذهاب الآن إلى القرية حبيبى!

وخرجت المرأة الرشيقة إلى الباحة... وهربت لوسى.. وقلبها يضرب وكأنه الرعد.

ليس هناك أناس لا تعرفهم؟ إنه منزل بيدرو دى

سانتانا، هو وحده من يملك الثراء الكافى لأعادة بناء ذلك المنزل المدمر، وأن يشق الطريق عبر الصخور، وأن يجئ بشجرتى البلح من مكان لا يعرفه سوى الله لتتزين الفناء. ولكن هل يخسر جدها كل شئ لبيدرو دى سانتانا؟ لماذا؟ بيدرو مليونير مضاعف بمئات المرات عن جدها... فلماذا يريد أن يسلب الرجل العجوز أملاكه؟

فى عجلتها، كادت تقع عن سطح التلة، فتشبثت بالأغصان ثم بالعشب، وتوقفت مقطوعة الأنفاس عند سماعها لصوت لم تكن ترغب أبدا فى سماعه.

ماذا تفعلين هنا؟ أنها أرض خاصة... الشاطئ حر ومباح للجميع، أما هذا التل فلا!

أجل... لقد كانت أرض جدها! ولكنه ليس أفضل منها اختيار الأصدقاء. ولكنها الآن ليست فى التاسعة عشرة من عمرها، فاستدارت ونظرت إلى فوق. كانت لا تزال ترتدى نظارتها الشمسية ومنديلها على رأسها، إضافة إلى الأمان الذى توفره لها خمس سنوات من البعد عنه. ولقد عرفت الآن العدو دون أن تحقق حوله. وقالت:

لقد أتيت إلى هنا لأرسم بعض التصاميم، ولكننى غيرت رأيى.

آه.. أنت الفتاة الأميركية! ومن الأفضل لك أن غيرت رأيك. فلو ابتدأت الرسم هنا فسوف تضطرى إلى التخلى عنه فى منتصفه.

أنت لا توافق إذن على حرية الفنان؟ وهذا ليس التصرف العادى لأهل هذه المنطقة.

واندهشت من نفسها لمهاجمته، إذ كان عليها أن تنسحب مهزومة، ولكن هذا ليس من طباعها، وما تذكرته عنه يوم أمس أشعل غضبها.. وأضيفت الآن خطايا جديدة له لتزيد غضبها.

وقال بحدة:

ستندهشين للتصرفات التى نقوم بها تجاه الجماعات المثيرة للغضب التى تحتشد فوق شواطئنا. فى بلادك لا بأس فى أن تجوبى كل الشواطئ نصف عارية وتضعين خيمتك أينما يحلو لك، ولكن هنا..الأمر يختلف!

لابد أن هناك خطب ما فى نظرك. فأنا مغطاة الجسد كاملا. وماذا يجعلك تتصور أننى أعيش فى خيمة؟

وسخرت من عجرفته، مقلدة لهجته، فنظر إليها محدقاً.

أنت لا تقيمين فى منازل الصيادين ولا فى الفندق، وهذا امر أعرفه.. فقد سألت عنك. فأين يمكن لفنانة مثلك أن تقيم؟ فنانة مع صديقها؟

فصاحت به:

ليس لديك الحق فى السؤال عنى! فلدينا خيمة عند الشاطئ.. صغيرة فى الواقع.

وسرها أن وجهه قد تصلب.. فسألها بحدة:

وأين هى؟

هذا ليس من شأنك. لقد قلت أن الشاطئ حر ومفتوح للجميع... وذلك يعنى نحن!

وانحنت لتستعيد أشياءها، متشوقة لأن تغادر المكان الآن. لقد كانت خطة ممتازة أنها أتت ببرنارد معها.. فقد عرف الجميع أنها فنانة مشكوك بشخصيتها، وعندما

يشاهد بيدرو برنارد سيتأكد من هذا.

وتقدم بيدرو منها، ونظر إلى تحركاتها بتقطيبة عميقة.

لماذا لا تنهين الرسم القديم؟ إنه جميل جدا بل رائع.

أنت تعرف شيئا عن الفن إذن؟

ليس فى الواقع.

اوه.. لن تقول أنك لا تعرف شيئا عن الفن سوى ما يعجبك!

ولماذا لا؟ معظم الرسومات كالكليشهات قريبة من المنظر الحقيقى ولكننى لم أكن سأقول هذا وما أعرفه عن الفن علمتنى إياه فتاه شابه وهى لا تشبهك أبدا، منذ وقت بعيد.. وكانت فنانة مثلك.

وهل هى ببراعتى؟.

كانت صغيرة جدا.. وكانت أيضا تميل إلى ترك كل شئ من منتصفه. والشعور أنها الآن تماثلك براعة، وخاصة أنها لا ترسم المناظر الجميلة.. بل تصاميم الملابس أيضا، وكانت غير عادية أيضا.. وجميلة جدا.

وكأنها إسم محفور على الصخر؟

لم تكن متقلبة على الأقل!

وفاجئتها لهجته الصادقة فهى لم تعتد على أن تستخدم كمثال لقيم خارقة. وليس هناك فيه أية قيم كذلك، فقالت ساخرة:

كم هذا مضجر!

أى شخص قد يتصرف باحتشام سينظر إليه فنان غير مستقر مثلك كمعبث للضجر.

ولكننا لا نعيش حسب قيمك بالمرة.

ووضعت حقيبتها على كتفها واستدارت، متوقعة ردا، ولكنها لم تسمع أى شئ. فنظرت إليه بسرعة، وذعرت لرؤية عيناه متسمرتين على قدميها العاريتين.. لقد شاهد قدميها العاريتين فى المنزل من قبل، عندما كان يزور مشغلها.. وقد قبل كل جزء من هذه الأقدام ليلة أن.. ولكن لا يمكن التعرف إلى الناس من أقدامهم، أيمكن هذا؟ ومع ذلك فقد سارعت إلى التحرك بسرعة والذكريات تجعلها ترتجف.

أين هو صديقك هذا؟

فالتفتت إليه، كان يقف ويداه على خصره النحيل. وفي عينيه السوداوين نظرة انزعاج. وابتسمت بارتياح.. إنه لم يعرفها، يريد فقط أن يزعجها. ونظرت إلى الشاطئ.. من هذا الأرتفاع يمكن أن يشاهد المرء الشاطئ لمسافة بعيدة، واستطاعت أن تشاهد برنارد بشعره الطويل يجلس عند الشاطئ. كان يستند إلى صخرة، وعيناه إلى البحر. ورفعت ذراعها النحيل لتشير:

إنه هناك.

وضاقت عيناه بغضب.

إذن أنت فعلا هنا مع رجل. إنه هيبي!

وهل كنت تتوقع شيئا مختلفا؟ نحن فنانان، نعيش حيثما وكيفما نشاء.

وتابعت سيرها، ولم تشعر أنها بأمان حتى وصلت إلى أسفل التل ونظرت إلى خلفها فوجدته قد ذهب.

لقد أصبح الوضع الآن مستحيلا. وأحست أنها عالقة

فى المصيدة داخل المنزل. بالطبع لن يهمها ما قد يظن بها بيدرو. فلقد ملأها الأزدراء له لفترة خمس سنوات، إضافة الآن إلى شعور غاضب لخداعه جدها. ولكن فكرة أن تتقدم منه وتنزع نظارتها لتقول له: مرحبا سيد دى سانتانا.. لم تكن تروق لها. وبدا لها من المحتم الآن تغادر (كاراكو).

وكانت الساعة تقارب السادسة والنصف عندما رفعت نظرها عن الكتاب الذى تقرأه لسماعها صوت جدها:

اللعنة! اليوم الثلاثاء؟

وهل لديك شئ ضد يوم الثلاثاء؟

ولكن ما قاله جدها رداً عليها، مسح الإبتسامة عن وجهها.

على حضور عشاء الليلة، بعد ساعة تماما.. عليك تحضير نفسك يا لوسى. أعلم كم تتأخر النساء، وأظن الفنانات يأخذن وقتا أطول.

كم هذه ملاحظة سيئة؟ على كل، أنا لست مدعوة!

بلى يا عزيزتى.. لقد تلقيت الدعوة قبل أن تصلى إلى

هنا بقليل وذكرت أنك قادمة فشملتك الدعوة.

أين؟

عند صاحب مكانة رفيعة فى الجزيرة، هل جلبت معك ما يناسبك لمثل هذه الليلة؟

لقد جلبت ثوبى سهرة فى الواقع، ولم أكن لأظن أننى سوف استخدمهما. ولكننى مستعدة.

إسرعى إذن عزيزتى.. لا أريد التأخر... ما أسمه... برنارد يمكنه المجئ أيضا.

لابد أن هذه الدعـوة هى كـالدعـوات التى كـانت تحضرها مع جدها وهى صغيرة.. وإذا كان بيدرو مدعوا فسوف تتمكن بسهولة أن تتجنبه.وصعدت إلى غرفة برنارد وقالت له:

هل جلبت معك البذلة التى قلت لك عنها؟

بالطبع.. مع أن هذا جنون.. لا تقـولى لى أن علينا ارتداء ثياب رسمية للعشاء الليلة؟ فأنا كل يوم أغتسل وأغير قميصى.

وهذا صعب عليك! أما الليلة فستفعل أكثر من هذا لأننا سنتعشى فى الخارج.. عند مسؤول من الجزيرة. فالبذلة يا صديقى.. وربطة العنق لو سمحت. فجدى لديه سمعته المحترمة هنا.

عندما عادت إلى غرفة الأستقبال وجدت جدها بسترة العشاء السوداء وربطة العنق السوداء، وبدأت تحس بالأرتياب، ولكن فات الوقت لأن تتراجع وتدعى الصداع.

أنت فتاة جميلة لوسى.

ونظر إليها جدها بسرور، كان ثوبها بلون مرجانى شاحب، ضيق من الصدر وواسع تحت الخصر، وأبرز اللون السمرة التى اكتسبتها منذ قدمت إلى هنا، ومجوهراتها الوحيدة كان سلسلة ذهبية أهداها لها والدها فى عيد ميلادها الواحد والعشرين.

لقد اختارت لى أمى هذا الثوب.

أجل.. أميلى لديها ذوق. ولكن دون عقل، ولا سيطرة على نفسها ولا بعد نظر... ولكن لديها ذوق.

فضحكت لوسى لملاحظته، ثم استدار معاً بدهشة لينظر إلى برنارد الأنيق فى بذلته السوداء، صحيح أن ربطة عنقه مزهرة قليلاً إلا أنها كانت جميلة. وكان قد نزع ربطة رأسه لأول مرة. وبدا بالفعل وسيماً.. فتمتمت بأعجاب وعيناها تضحكان:

واو.. ماذا لدينا هنا..؟ سوبرمان؟

لا تقولى كلمة أخرى أو سأعود لأخلعها.. لقد ارتديتها يوم تزوجت أختى ولم أرتديها منذ ذلك الوقت.. شخص ما قد كواها..

ونظر إلى الجد.. فأكد له هذا ضاحكاً:

ليس أنا.. ربما بعض الخدم وهى ترتب ثيابك.

ربما..

وكانت الليلة رقيقة ودافئة، وقد حل الظلام بالكامل. وصوت البحر يهدهد من بعيد، وارتاحت لوسى عند جلوسها فى السيارة بالقرب من جدها. لابد أن عشاء قروياً لن يجذب اهتمام بيدرو، وبالتأكيد ليس لتلك السيدة

السمراء التى تتعلق بأذياله.

فى القرية، استدارت السيارة إلى الداخل، وبدأت تتسلق طريقاً مشقوقة حديثاً. واشتدت قبضة يدها على الأخرى.

ظننتك قلت أن هذه دعوة عند مسؤول الجزيرة؟

حسنا.. لقد ظننت أن هذا الوصف يناسب تماماً بيدرو دى سانتانا فنحن صديقان مقربان. لقد ساعدنى كثيرا، وطوال خمس سنوات.

سيعجبك لوسى... إنه يتكلم الأنكليزية بطلاقة. فلا تقلقى حول مشكلة اللغة.

إنها تعرف هذا تماماً. فقد تكلم معها بحدة هذا الصباح.. وتكلم معها بنعومة وبصوت مرتجف منذ خمس سنوات.. خمس سنوات! لابد أنه حضر إلى هنا بعد هذا التاريخ مباشرة...

لم يكن هناك أية وسيلة للتخلص من هذا المأزق دون أن تكدر جدها.. لذلك عليها أن تستسلم الآن.

ما هذا الفخ الذى أدخلنا أنفسنا به.

ولكننى لم أخدعك يا عزيزتى.

لم أقصد يا جدى. كان فكرى فى شئ آخر.

وتلوى الطريق حول التل.. وها هو المنزل أمامهم يشع بالأضواء وعدة سيارات تقف عند المدخل وفى الباحة.. ولم يعد هناك شئ أمامها إلا أن تنزل من السيارة كما فعل جدها وبرنارد.

كانت رائحة الزهور، مضافة إلى الرائحة الحلوة للمساء ولهواء الليل المنبعث من البحر القريب، تضيف سحراً خاصاً لتلك الليلة وللحجارة الناعمة للمنزل. وصدمها جمال ثانية. ولكن لا وقت الآن لتتأمل هذا الجمال. فمن الواضح أن جدها يعرف هذا المنزل جيداً. فقد أخذ ذراعها وتوجه بها نحو الباب المفتوح بخطوات واسعة.. ولكنها رغبت أيضاً فى أن تتعلق بذراع برنارد، حتى ولو اعتقد أنها جنت.

وأدهشها عدد الناس هناك، إلى أن تذكرت أن سفينة كبيرة كانت راسية هذا الصباح على حوالى ميل من

الميناء الصغير. ولابد أن أصدقاء له من الجزر القريبة، أو حتى أميركا موجودون هنا.

فى الداخل أخذ رأسها يلتفت فى كل ناحية.. مع انها أقسمت أن لا تتكلم مع بيدرو دى سانتانا ثانية. فكيف لها أن تواجهه؟ هل سيتمكن من رؤية كم آلمها؟ هل سيعرف لماذا هى هنا.. ويحاول إخفاء آثار تحركاته؟ أم أنه لا يزال متعجرفاً حتى أن تصرفاته لا تزعجه؟

هنا، فى هذا المنزل الجميل، وفى هذا المحيط المتمدن، مع الأثرياء الواقفين هناك كل يحمل كأس شرابه، وبثيابهم الغالية الثمن... أحست من جديد ما كانت تحس به يوم كانت فى التاسعة عشرة من عمرها عندما انصب اهتمام بيدرو دى سانتانا عليها. وفى هذا الجو نسيت ما حصل لها بعد ذلك.. وغمرها نوع من الأثارة القاطعة للأنفاس، وعرفت أنها تنتظر رؤيته، كما كانت تنتظر منذ خمس سنوات.

وبقيت للحظات وحدها.. لقد مضت عليها سنوات لم تشعر بأى نوع من الأثارة.. فقد كانت تحس بالأمان فى

عالمها الخاص، فى موهبتها الخاصة.. كل شئ قد تم كما خططت له.. ولكن الآن، وفى هذه اللحظات، كانت ترتجف مرتبكة، دون أن تعرف كيف ستتمكن من مواجهة بيدرو عندما يظهر فى آخر الأمر.

وقدمت إليها كأس شراب بارد. واقع أنها قدمت لها من الخلف لم يسجل فى ذهنها أى شئ. فأخذتها متمتمة بكلمات الشكر، وكادت أن توقعها على الفور للصوت الساحر الذى أرسل القشعريرة على طول سلسلة ظهرها.

هل انتهت اللعبة؟

ولم يكن أمامها إلا أن تستدير لتواجهه، واستدارت ببطء، وهى تسيطر على تعابير وجهها بشدة، والتقت بعينيه السوداوين سواد الليل. وللحظات لم يتكلم أحد منهما. فقد كانت لوسى تائهة، ومع كل محاولتها التخفى وإظهار رباطة الجأش، بدت دون دفاعات.

لقد أتيت بصديقك كما أرى.

ليس بالضبط.. لقد دعانى جدى إلى هنا.. كما ولابد أنك لاحظت، أنت تعرف إذن أننى أقيم مع جدى.

كما هو صديقك.. جدك متساهل، رجل لطيف.

كذلك هو مريض. لذلك أنا هنا. وإلا لما كنت أزعجته بصديق هيبى. وبرنارد رجل مهذب جداً، ومعتاد على الحياة المنزلية!

بالتأكيد قد استحقيت تلك الملاحظة عن الهيبيين؟. فلم يكن لطفا منك التظاهر بأننا غرباء.

ولكن نحن غرباء تقريباً. على كل الأحوال، كنت راغباً فى الأدعاء نفسه أيضا.

وقال ساخراً:

أنا أحب التساهل مع الأطفال.

أجل.. أذكر هذا.

وسمعت صوت تنفسه الحاد. وصوت أسنانه تصر غضباً. ولكنها لم تستدر لتنظر إليه، فقد علمت أنه لم يتغير أبداً. ولكن منظره الساحر هذه الليلة أعادها إلى الماضى، وإذا لم يكن يمثل شيئاً فهو أكثر جاذبية، أم أنها الآن قد أصبحت إمرأة ناضجة؟

بعد أن أنهيت لعبتك الصغيرة، أستطيع أن أقول لك أننى أرحب بك هنا.

كيف يجرؤ على هذا القول؟ وتصاعد غضبها لكلماته الخبيثة التى تلفظها بنعومة.. فى وقت كهذا، يجب أن يكون قد تذكر ما حدث بينهما.

لم يكن لدى أية رغبة فى المجى إلى هنا سيد دى سانتانا... فصحة جدى هى جل اهتمامى الآن. ومن المستحيل أن أرفض المجئ دون أن أغضبه.

ألم تفكرى بالصداع، أو ادعاء تفضيلك البقاء مع صديقك لفترة هادئة.. ولوحدكما؟

فى الوقت الذى عرفت به أين سنذهب كان الوقت قد فات. وسأتصرف بشكل أفضل المرة القادمة.

أنت تتصرفين كطفلة! لقد كنت أتوقع أن تتحسنى خلال خمس سنوات.

لقد كنت يومها إمرأة سيد دى سانتانا، على الأقل لقد عاملتنى كأمرأة!

واستدارت بعنف لتحدق به، شعرها الذهبى ينسدل على وجهها، ثم يتدلى على كتفيها، وعيناها اللوزيتا الشكل تقدحان شرراً. فرد عليها:

ليس الوقت كله.. فلو كنت إمرأة كاملة فربما ما كنت تركتك. وربما أنت لست إمرأة الآن؟ ولو كنت إمرأة لما اختبأت خلف نظارة سوداء وتظاهرت أنك غريبة. ومع ذلك.. فأنت دائماً كنت غير طبيعية، ولقد انتقيت صديقا غير طبيعى كذلك.

لقد عرفتنى لفترة قصيرة.. ولا أظنها تكفى لتحكم على خلالها أما بالنسبة لبرنارد، سأقدمه لك، إنه رجل موهوب.

يحتاج لأن يكون موهوبا بمنظر كهذا!

ومرت عيناه فوق جسدها، وفوق بشرة وجهها الناعمة، ولمعان شعرها.. وقال لها آمراً بصوت منخفض جداً:

ستنادينى بيدرو.

لا يعجبنى هذا. أنت رجل كبير فى السن.

أنا فى الخامسة والثلاثين، وبالتأكيد أكبر منك سناً لتفهمينى.. على كل أنت محقة آنسة ماكدونالد.. فلنحافظ على الرسميات. والآن إذ سمحت لى، يجب أن لا أتجاهل ضيوفى. وبإمكانك تقديمى إلى صديقك فيما بعد.. ففى الوقت الحاضر يبدو مشغولاً مع النساء.

وراقبته يبتعد.. عنها ولاحظت شموخ هامته وهو يتحدث إلى جدها. واعترفت لنفسها إنه جعلها تشعر بأنها طفلة. ولابد أن لسانها قد اتخذ له حياة خاصة به، فهذه ليست الطريقة التى تخيلت إنها ستلتقى ببيدرو... لقد تصرفت كالمرأة السليطة. وسيكون نصراً لها لو حافظت على كرامتها.

وتملكها شعور بأنها خطت أولى الخطوات نحو الهزيمة.

شـهرة جدها كانت تعنى أن لوسى لن تترك لوحدها لفترة طويلة وسرعان ما وجدت نفسها تجلس الى الطاوله الطويله التى تلمع بالكريستال والفضة، تتناول الطعام فى نفس الغرفة مع بيدرو بعد مدة طويلة.. وكان يجلس على رأس المائدة، أنيق واثق من نفـســه، وتمكنت لوسى من مراقبته بينما الحديث يدور من حولها.

وجلست تراقب بيــدرو بنوع من العــجب والرهبــة ممزوجان بالغضب. وكان مـختلفاً بالكامل عن أى إنسان عرفته.. وجهه كامل تقريبا، برونزى اللون ورجولى. عيناه السوداوان طويلتان غريبتان، لهما طول غير عادى عندما حافتيهما الخارجية، ربما يكون عربيا أكثر منه أنديزى، أسمر كسواد الليل وملئ بالأسرار شعره الأسود يلمع

فى النور كلما التفت ليتحدث إلى المرأة إلى جانبه.

بعد العشاء، تابعت الحفلة المتمدنة سيرها، وانسحب الضيوف إلى صالة الأستقبال الرحبة التى تقود مباشرة إلى الباحة الخارجية المرصوفة بالحصى، حيث فتحت الأبواب الزجاجية على مصراعيها، والستائر الحريرية الطويلة تتحرك ببطء فى النسيم العليل للمساء، وتدفق العطر المنعش لبعض نباتات الليل عبر الأبواب.

ونجح فى تجاهلها، وعندما كانت عيناهما تلتقيان مصادفة، كانت نظرته باردة وسوداء، فلقد أظهرت له أنها ضيفة ذات طباع رديئة، وتستحق التجاهل، ولكن جرائمه هو، لا تزعجه أبدا، وأحست بالضيق فذنوبه يجب أن تحنى له هامته.

وأحست فجأة أنها يجب أن تغادر المكان، لتبتعد عن نظر بيدرو والمرأة المتعلقة به. وتحركت بسرعة نحو أبواب الشرفة وخرجت إلى العتمة، وسارت إلى الحائط المنخفض الذى يحد الفناء ووقفت تحدق بالميناء البعيد تحتها وإلى البحر حيث تطفوا قوارب الصيد الصغيرة

بأنوارها، وإلى الجنوب ذلك المركب الكبير..

هنا فى الخارج أريج النباتات الليلة كان ثقيلاً وقوياً. والبحر بعيد لا تسمع هدير أمواجه، والسماء عميقة مخملية السواد، لامعة النجوم. كان كل شئ من حولها جميل. وتنفست بقوة وثبات، كم رائع العيش هنا والتمتع بهذه المناظر ليل نهار. وكم مزعج أن يملك كل هذا شخص مثل بيدرو.

ولم تشعر بأنها لم تعد لوحدها حتى تكلم بيدرو:

ألا زلت تهربين من الناس، أم أنت تنظرين إلى هذا المنظر نظرة فنان؟

فردت عليه دون أن تلتفت:

أذكر هذا المنظر من سنوات طويلة.. لقد كان المكان خرابة. ولقد أصلحته بشكل جميل.

بعد ظهر هذا اليوم، أكان فى نيتك الصعود إلى هنا للرسم؟ ألم تكونى تعرفى أن المنزل لم يعد مجرد خرابة؟

لا.. لم أكن أعلم... لقد اندهشت تماماً.

وخاب أملك. ولكن لا سبب أبداً يمنعك من المجئ ساعة تشائين. بإمكانك استخدام أية بقعة من المنزل كل يوم.

أنت تنسى أن المنزل مسكون الآن.

لن يزعجك أحد. حتى أن خدمى سيجلبون لك الطعام.. فأنا أعرف جيداً أنك تستغرقين فى عالمك الخاص عندما تبدأين التصميم والرسم.

أنت لطيف جداً، ولكن لا، شكراً لك. لقد وضعت تصميماتى ولا أحتاج إلا إلى التنفيذ.

وهل هى تصاميم لزبائن؟

لا.. فأنا أحضر لمعرض الأزياء الصيفى، وليس أمامى سوى تنفيذ ثلاثة تصاميم بعد.

أتعنى أنك ستهربي.. إذا كان وجودى على الجزيرة يزعجك فأنا مستعد لتركها.

وتقدم فجأة نحوها ليمسك كتفيها بيديه القويتين.. ويديرها لتواجهه، ثم يسألها:

لماذا أنت متورطة مع شخص مثل ذلك الفنان؟

أنا فنانة أيضاً.. وأنا وبرنارد نفهم بعضنا.

من الواضح إنه يصدق كل ما قالته له، ويعتقد فعلا أن برنارد صديقها.. وهكذا أفضل، طالما لا يكتشف برنارد الأمر. فماذا سيقول بيدرو يا ترى لو قالت له كم طالت المدة كى تتغلب على ما شعرت به نحوه؟ ماذا لو عرف أنها ولفترة طويلة مرضت.. ولم تعد لديها الرغبة فى البقاء حية؟ وقال لها:

أنت مختلفة عما كنت.

بالطبع أنا مختلفة! ألم تتوقع أن أكون مختلفة؟

وبدا ردها مريراً، متألماً، وبسرعة سيطرت على نبرات صوتها:

لقد كبرت. ولم أعد فى التاسعة عشر، وسهلة الأنخداع.

واستدارت بسرعة لتعود إلى المنزل، معترفة بهذا إنه يثيرها. وغضبها كان يثيرها أيضاً. وهى عادة لا تبلغ ذروة فى الغضب لأن الناس لا يتدخلون فى حياتها كثيراً، وأمسك بيدرو بذراعها وأعادها لتواجهه ثانية.

وهل تنوين الزواج من هذا.. هذه الشخصية غير المألوفة؟

اوه.. أشك في هذا. فنحن نملك كل شئ دون أن نتزوج. وفي ووسطنا، الناس لا يتزوجون عادة.. ليس في هذه المرحلة على كل الأحوال.

وتركها تذهب قائلا بتصلب:

ربما أنت على حق ونحن لا نعرف بعضنا.. لقد مضى زمن طويل، والذكريات تشوه الأمور، فنحن نتذكر فقط ما نرغب في تذكره.

واستدار لينظر إلى البحر. ونظرت لوسى إلى قوامه المتكبر.. ثم استدارت لتعود إلى المنزل. وعندما عاد إلى الداخل تجنبها تماماً دون صعوبة. وكم أحست بالسرور عندما قال جدها أن الوقت قد حان للذهاب. وودعهم بيدرو بكل أدب. وقال بغطرسة:

أنا قد تشرفت بمعرفتك آنسة ماكدونالد.

وقال جدها معلقا وهم في طريق العودة:

إنه رجل رائع.

الأمر أصبح سخيفا.. ويجب أن تعود من حيث أتت، وبأسرع وقت ممكن، فما يرعبها الآن أن وجه بيدرو يرفض مغادرة فكرها.

نظرة واحدة إلى جدها بعد أن أصبحا داخل الفيلا جعلها تنسى خطتها، فلقد بدا تعباً. وربما السهر فى الخارج كثير على صحته؟ ربما الڤيروس قد عاوده، ولم يتركه أصلاً؟ فهو لم يعد صغيرا فى السن ويمكنه مقاومة أى مرض بسهولة. وعلمت أن عليها أن تبقى حتى ولو أن هذا يعنى الإتصال أحياناً مع بيدرو. ولماذا تهتم؟ أنها تعرف من هو.. وتعرف هذا منذ خمس سنوات.

وقال برنارد:

إنها أمسية ساحقة.. ربما سأبقى هنا.. لقد بدت السيدات مأخوذات بى.

فقالت لوسى مازحه:

ربما أخذن بالبذلة. فالنساء لا يعجبن بمن لا يهتم بمظهره.

ولكننى نظيف على الدوام، ولكن من سوء حظى أن النظافة لا تبدو على. منذ متى تعرفين مضيفنا الوسيم؟

وفاجئها السؤال، واحمر وجهها:

من؟ بيدرو؟ اوه.. منذ زمن.. عندما كنت فى التاسعة عشرة.

هم. م. أنا أذكرك عندما كنت فى هذا العمر. وأذكر أن النور قد هجر وجهك يومها. وأذكر كم أمضيت وأنت مريضة.. فلا تدعيه يؤلك ثانية لوسى.

واستدار ليذهب إلى غرفته. وحدقت به لوسى، وهى تخجل من ملاحظتها له.. وأحست بالإضطراب فصاحت:

برنارد.. أنا.. أنا آسفة حول...

واستدار ليبتسم لها:

إنسى الأمـر.. فلدى غـرور بنفـسى يكفى لأثنين، فـاعلمينى إذا كنت بحاجة لشئ منه. وانتبهى لنفسك! واحرسى قلبك!

فى اليـوم التـالى، قـررت لوسى أن تواجـه الأمـور. فـالتحايل لا ينفع بعد الآن. ولا شئ تستطيع فعله قد يمحوا الماضى. وإذا لم تصلب نفسها فسيحاول برنارد بالتأكيد السخرية منها.. وإذا كان عليها أن تواجه

بيدرو.. فليكن.

وتوجهت إلى الميناء. السفينة الكبيرة كانت قد عادت من حيث أتت بأصدقاء بيدرو، ولكن فى مكانها كان هناك مركب أصغر. ليس كبيراً لدرجة مزعجة ولكنه كان كلطخة على وجه الماء الصافية. فصاحت

لعنة الجحيم..!

وتوقفت عن السير لتحدق فى المياة، وتقدم منها دانييل عامل الفندق لينظر إليها، فهو عادة يجلس هناك كل صباح ليدخن ويحدق إلى البحر.

هل هناك مشكلة سنيوريتا؟ أيمكن أن أساعدك؟

ليس إلا إذا استطعت إزالة ذلك المركب القذر دانييل! إنه يقف فى طريقى.

تجاهليه سنيوريتا.. تظاهرى أنه غير موجود.

وابتسم لها حتى بانت أسنانه البيضاء اللامعة، فقالت:

أخشى أن لا أستطيع تجاهله، ومع أن هذا قد يبدو غريبا. فسأتطلع إليه طوال الوقت.. وسيقاطع منظره

أفكارى.. أظن أن على إلغاء عملى اليوم.

وشاهدت بسمة دانييل تتلاشى ليحل محلها إبتسامة مختلفة وهو ينظر إلى وراءها، وأحسست بأن بيدرو خلفها حتى قبل أن يتكلم:

سـأسـاعـدك آنسـة مـاكـدونالد. (المركب القـذر) لى وسأحركه من هناك.

لا حاجة لأن...

فقاطعها بصوت كالفولاذ، ناصحا:

دعينا لا نبدأ اليوم بما أنهينا به الأمس. فصبرى ليس دون حدود. ولست معتاداً على النساء الناكرات الجميل. سأحرك المركب من مكانه فى الميناء. إلى الخليج المقابل.

شكرا لك.. ولكن هذا غير ضرورى. بإمكانى الأنتظار ليوم آخر. فليس فى نيتى التسبب بأى مشكل لك.

ونظرت إليه ببرود، لتجد عيناه السوداوان تحدقان بها.. وبكثير من التوتر:

أنا من يقرر ما هو مشكل وما هو غير ذلك. فوقتك هنا

محدود، أو هكذا جعلتنى أعتقد يوم أمس. وسيتأخر تحريك المركب، ولكن بعدها بإمكانك المضى فى عملك، وبهذا تستطيعى السفر بأسرع وقت ممكن.

شكرا لك إذن.. أقبل بعرضك.. فلى كل النية أن أسافر بسرعة.. فماذا ستفعل.. هل ستشير للطاقم بأن يبتعد؟

وكانت لهجتها تماثل لهجته حدة. فلن يستطيع التظاهر بالطهر أمامها وهى تعرف كل جرائمه. ورد عليها:

آسف لأن أقول.. لا.. أذكر أننى قلت لك مرة أن لدى مركب أسيره بنفسى. وهذا هو.. وليس عليه أحد الآن. لذا سيكون من الضرورى أن أذهب بنفسى لأحركه من مكانه. هل ترغبين فى المجئ معى؟

ووقف ينظر إليها بسخرية وكأنه يقول لها أنك لن تجروئى. فهزت كتفيها دليل عدم الأكتراث وقالت:

ولماذا لا؟ فالشئ الوحيد الذى يمكن أن أفعله عدا هذا هو الجلوس والأنتظار. ولا أحب الأنتظار.

لا.. أذكر هذا جيداً. سأحمل لك أوراقك.. هل هى جافة؟

لا .. أنها جافة كفاية للعمل عليها، وليست جافة كى تصطدم بساقك وأنت تحملها.

لم يكن فى نيتى صدمها على ساقى.

والتقط الأوراق، وسار بسرعة، وكان عليها أن تركض لتلحق بخطواته السريعة، وأحست بالحرج بعد أن وجدته يبتسم لنفسه. ستحاول جهدها أن تبقى هادئة، دمثة الأخلاق، وتبقيه عند حده.

ها قد وصلنا.

ورفعت رأسها لتجد نفسها أمام المركب المزعج.. ولكن كلمة مركب لم تكن تناسبه أبداً.. فقد كان يختاً طويلاً رشيقاً، أبيض اللون، لامع الفولاذ مصقول الخشب. وتمكنت من رؤية داخل غرفة القيادة، وبدت الآلات فيه مكتملة ومعقدة وكأنها معدات طائرة. سطحه الخلفى، آخر صيحة فى الفخامة، مقاعد وثيرة، ومقاعد نوم، طاولات زجاجية السطح، وسقيفة من قماش أزرق تمنع عن السطح نور الشمس الساطع. فقالت مذهولة:

إنه جميل تماماً!

واستدار رأسه الأسود اللماع لسماع صوتها الملئ بالرهبة.

إذن فهو ليس (مركباً قذراً)؟ هل أعجبك؟

إنه جميل وماذا أستطيع أن أصفه أكثر من هذا؟

ألا يملك السير جورج مركباً مثله؟

لا.. فنحن نبحر فى البحيرات، وأعنى أننا نبحر حقا.. فوالدى وأنا لدينا زورق لكل منا نتسابق فيهما.

صــحــيح؟ إذن أنت تعــرفين كل شئ عن الميــاه؟ وستهتمى بالسباق الأسبوع القادم.

وقفز برشاقة إلى السطح، ومد يده لها، وأصبحت على السطح حتى قبل أن تدرك ماذا تفعل، وقد أسر لبها اليخت، والرجل، وكلماته.

وهل سيجرى سباق؟ ولكننى لا أذكر سباقاً؟

أنت لم تزورى كاراكو منذ فترة طويلة، خمس سنوات بالضبط.

ونحن نجرى سباقاً كل سنة، بين القوارب التقليدية للجزيرة. أنها موجودة فى الخليج الصغير حيث سنذهب

الآن. سأريك المكان.

وانشغل فى فك الحبال.. ثم بدأ اليخت يتهادى متحرراً من المرسى، بينما توجه بيدرو ليدير المحرك، وأخذت لوسى تنظر إلى جدار الميناء يبتعد تدريجياً.. ربما ما كان يجب عليها أن تأتى معه؟ ولكن فات الآوان للتراجع الآن. ووضعت أوراق رسم تصاميمها جانباً ثم تقدمت لتقف قربه وهو يجلس فى المقعد الجلدى الفاخر أمام لوحة القيادة ويناور بمهارة ليخرج من الميناء، ويتجه إلى عرض البحر.

لقد قلت أننا سنذهب إلى الخليج الصغير!

لدى سماع صوتها القلق الرفيع، رفع نظره إليها، واحدة أخرى من تلك النظرات السوداء المليئة بالأسرار:

نحن ذاهبان إلى هناك.. ولست أخطفك.

ولكنك استدرت نحو عرض البحر!

ظننتك بحارة... أتعتقدين أن من الصحيح الذهاب إلى هناك فى خط مباشر؟ لابد أنك لاحظت الصخرة الضخمة

التى تقف كالحارس وسط الميناء. وليس بإمكانى إصدار الأوامر لها بأن تبتعد عن طريقى.

بالطبع.. أنا آسفة. أعتقد أننى متوترة قليلاً.

لم يكن من الضرورة أن أخطفك فيما مضى. أذكر جيداً أنك كنت راغبة.

وارتفع الدم إلى وجهها، فأشاحت بوجهها عنه مقطبة.

أليس لديك أى شعور بالخجل؟

لا .. كنت أريدك. وإذا كنت تذكرين، لقد طلبت منك الرحيل معى.. ولكنك رغبت فى البقاء مع أننى حذرتك.

لقد قلت أكثر من هذا.

أنوار الصباح الباردة تسبب الصحو لمعظم الرجال.

وماذا توقعت غير هذا؟ ألم تكن تعرف؟ وتصاعد الغضب وكأنه الأعصار داخلها فاستدار إليه بعنف.

ليس الرجال فقط سيد دى سانتانا. ولو أن عندك أى وخز ضمير فبإمكانك إسكاته.. فأنت على كل قد صنعت معى معروفاً.. فهذا كان مقداراً له أن يحدث عاجلاً أم

آجلاً. وهذا شئ لم يكن غير عادى فى أوساط الجامعة، وأصدقائى يتمتعون بالأستماع إلى قصص مماثلة. رجل كاريبى وسيم.. لقطة. لقد كنت محط الأهتمام لفترة طويلة، وهذا يستحق أن أخسر طهارتى لأجله.

ولثوانى.. صمت بيدرو، ولم ينظر إليها. وكان جسده كالتمثال البرونزى، وعيناه جامدتان إلفى البحر. جموده كان مخيفاً، وعندما تكلم كن صوته مخيفاً أيضاً، مما جعلها تحس كم هما معزولان عن الدنيا فوق المركب... ثم همس بصوت شرس:

قولى أى شئ آخر وسأقتلك.

فى تلك اللحظات آمنت حقاً إنه قد يفعل.. ولكنه آلمها.. وهو يؤلمها الآن، ولا تستطيع أن تمسك لسانها:

ومـــاذا هناك لأقـــول.. برنارد على كل الأحـــوال لا يمانع.. حتى أننى لم أهتم بإخباره.. قد تكون أنت الأول فى حياتي.. ولكنك بكل تأكيد لن تكون الأخير.. فعندما يحدث هذا لأول مرة...

وقفز نحوها كالنمر.. وجهه أبيض تحت بشرة ذهبية.

وكانت قد نسيت أن المراكب الحديثة مجهزة ببحار آلى.. وغرقت أصابعه فى كتفيها، وكأنها تقطع لحمها. وصدقت بالفعل أن زمانها فوق الأرض قد وصل إلى نهايته.

مقومتها له كانت دون جدوى، فذراعاه من فولاذ وكأنها قضبان سجن. وضمها إليه بقوة، وتراجع رأسها إلى الوراء بحدة حتى أنها ظنت أن رقبتها ستسقط من مكانها. ولم يدم هذا سوى لحظة. ولكن فى تلك اللحظة أحست بالقوة الكاملة لغضب الرجل، وكأنه العاصفة البحرية.

عندما تركها كانت تهتز.. والرعب يملأ عينيها الخضراوين. وحدق بها قليلاً قبل أن يدفعها عنه بقوة جعلتها تترنح وتكاد تقع.

وعاد إلى المقود وهو يقول:

حسن جداً.. لقد أسسنا شيئا ما. فقد أصبحت إمرأة مبتذلة.

أنا لست كذلك!

الأميركيون يستخدمون إسماً آخر لهذا الأمر. هذا لن يدهشنى.. ومع أن هذا لا يعنينى.. ولكنك ستتصرفى

بأخلاق متمدنة من أجل سمعة جدك هنا. فصحته تقلقني.

صحيح؟ أستطيع معرفة نوع قلقك.. أنت قلق عليه لدرجة أنك أرحته من بعض أملاكه.. كم دفعت ثمن ذلك المنزل والأرض المحيطة به؟

فاستدار إليها ببطء وابتسامة غريبة على شفتيه.

هذه صفقة أعمال بين رجلين.. وإذا رغبت في معرفة شئ فأسأليه.

سأسأله.. لأنني أعرفك يا بيدرو. فأنت تسلب أى شئ تريده.

إذن أنا بيدرو الآن؟ وكما تعرفيني يا لوسي... أنا آخذ ما أريد حقا.. فقد أخذتك على الأقل.

وأسكتها. ولكنها عرفت ما تريد معرفته.. إنه يأخذ بالتدريج كل ما يملكه جدها. فقالت مهددة ووجهها شاحب:

سأوقفك عند حدك.. ولا تظن أنني لا أستطيع!

هذه كلمات شجاعة.. ولكن لو أردت الأستيلاء على كاراكو كلها فسأحصل عليها.

وهمست وهى ترتجف لرده المتعجرف:

أهذا ما تريده؟

فنظر إليها وضحك، وذابت نظرته الغاضبة لتصبح ساحرة:

يا للطفلة السخيفة! أت لم تكبرى أبداً. أنا أخجل من غضبى منك.. هيا تابعى عملك، وقومى بتحقيقاتك، ثم قدمى لى تقريرا.

أنا لست واحدة من تابعيك!

لا.. ومع ذلك فلليلة واحدة كنت عبدتى. وذكراها تخفف من انزعاجى. فتوقفى عن هذا الهراءوتقدمى إلى هنا، سأريك المراكب.

وبقيت لوسى صامتة. ولكنها لا زالت ترتجف. ومع ذلك فستحاربه. وبسرور سريع أحست أنها قد أثارته، وأثارت حذره. وسألها بعد أن تنهد:

لابد أن إمكانية صلح جديد قد هدأ أعصابك. وأنا مسرور. فأنا لا أشعر بالسعادة لوجود إمرأة تخاف منى

خاصة أنها كانت دون خوف وهى فى التاسعة عشرة من عمرها لترتمى فى أحضانى.

أنا لا أخافك.. أما بالنسبة للموضوع الآخر، فقد انتهى أمره. فلابد أن نموى كان متأخراً يومها!

صحيح؟ لا أستطيع تصديق هذا.. أنت وأنا عرفنا بعضنا منذ النظرة الأولى، وأردنا بعضنا منذ النظرة الأولى.. ولم يحدث/ أى تراجع بيننا منذ تلامسنا. ولم تكونى متوترة أو صعبة المنال معى. وقلت لى ما فى ذهنك.. وكنت طبيعية كما نور الشمس. ودافئة كنسيم الليل.

ولكننى كنت فى التاسعة عشرة، ولقد كبرت الآن.. ولا يمكن التأثير على.

لم تكونى أبداً سهلة التأثر.. كان ذلك نوعاً من ردة الفعل التى جرفتنا معا. ولقد كنت كبيرة كفاية لتذوبى فى أحضانى. ولأن تتجاوبى معى، ناراً بنار.. أكثر مما تمتلكه أية مراهقة. وبإمكانى أن أجعلك هكذا الآن.. لو رغبت.

وبعدها أنت..

وصمتت. متأسفة على الطريقة التى أوصلها فيها إلى هذا الأتهام الصارخ... فقال لها بنعومة:

ثم أنا ماذا يا لوسى؟.. بعدها تركتك؟ وهل توقعت منى أن أفعل عكس هذا؟ هل تمنيت أن أتخذ لى مكانا على سلم كليتك لأنتظرك؟

لم أكن مهتمة. حياتى كانت دائماً مخططة.. ولم يكن أى شئ يهمنى عدا فنى. ومنذ خمس سنوات كان الأمر مسلياً لى طالما هو مستمر... فقد أطلقنى هذا فى عالم النساء.

إنها توجه الضربه المؤلمة الآن لغروره الرجولى، كما آلمها تماماً. وبدا أن غضبه تحت سيطرة أسهل الآن. لأنه نظر إليها وابتسم:

أنت فقط تتخيلين أنك إمرأة.

حقا؟ أعتقد أن فكرتك عن المرأة.. هى تلك السيدة المهزولة التى تعيش معك فوق أملاك جدى؟

إنها أملاكى. أما بالنسبة لأليان، بلى.. إنها إمرأة. ومن الأفضل لك أن تقلديها.

أنا لا أقلد أحداً سيد دى سانتانا.. فأنا نسخة أصلية بالكامل.

أوافق على هذا. لابد أن القالب انكسر بعد أن خلقت.. المرأة الطفلة ذات الوجه الملائكى واللسان اللاذع.

وحدقت به بصمت، والتوت شفتاه بسرور متكبر مستبد، حتى وهو لا ينظر إليها.. يا إلهى..! كم تكرهه!

وتنفس بعمق، وكأنه يستعيد رباطة جأشه، وأشار بيده:

ها هو.. الخليج الصغير حيث سيجرى السباق.. وها هى كل القوارب راسية بهدوء، وكأنها تستجمع قواها ليوم السباق.

هل هذا تكتيك جديد؟ حسناً.. بإمكانها أن تلاعبه بأسلوبه. وتقدمت لتقف بقربه لتتفرج على الخليج الصغير الذى يقبع بسرية ما بين تلين مشجرين.. وتابع:

ذلك القارب لى لقد انتهيت لتوى من العمل به.

وهل لديك قارب آخر؟

- بالطبع.. فكيف سأدخل السباق دون قارب؟ فهناك

كـأس للرابح. ولا أكـره أن أحـصل على بضـع تذكـارات انتصار.

وأشاحت بوجهها عنه وهى تقطب.. لا تفوته أبداً أية حيلة.. أهذا ما كانت هى عليه.. مجرد تذكار انتصار؟

أنا مندهشة لأنك عملت فى المركب لوحدك.. كنت أظن أن واحداً من تابعيك يمكنه القيام بالعمل.

أنا أتبع القـوانين. كل مـشـتـرك يجب أن يبنى قـاربه بنفسه، فمن الطبيعى أن أبنى قاربى، وكل القوارب يجب أن تكون بنفس التصميم.

أنا آسـفـة... كنت فظة مـعك.. وطالما كنت هكذا، أظن هذا مرده للعمر.!

لا أظن هذا، فأنت لا زلت طفلة مبكرة النضوج.

ولاكنه قلبى الوحيد

قال لها وهما يسيران عائدان إلى القرية:

الليلة سأطير إلى ميامى.

بكل بساطة تخلى عن كل التوتر. وقررت أن تفعل مثله، فلديها أشياء أخرى تفعلها، ليس أقلها أن تعرف سبب تأثيره على حياة جدها.

وكيف ستفعل هذا؟

لدى طائرة هليوكوبتر هنا. فعندما قدمت إلى كاراكو، ابتعت قطعة أرض خارج القرية، إنها واحدة من عدة أمكنة مسطحة. ومن المستحيل على العيش هنا دون هليوكوبتر.. وسأغيب لأسبوع فقط.

من الواضح إنه يؤكد لها أنه سيعود ليراقب

تحركاتها. وتمنت لو أنه يذهب ولا يعود!

عرفت أنك لا تستطيع العيش هنا بشكل دائم، أنها جزيرة صغيرة وهادئة بالنسبة لك.. أليس كذلك؟

لدى ما يكفى من الأثارة فى حياتى دون أن أتمنى العيش هنا بشكل دائم. ولدى شقة فى ميامى، مريحة ولكن ليس حقا ما أحس أنه بيت لى. ومنذ مات والدى لم تتح لى الفرصة لأزور مسقط رأسى بورتوريكو.. ووالدتى هى التى تزورنى، إنها تحب كاراكو بالفعل.

وهل لديك أم؟

أجل.. واعذرينى لأننى لم أقل لك هذا. ولكننا لم نتناقش فى أمور حياتنا الخاصة أبداً. لقد كانت الرغبة تعمينا.

لم أتصور شيئاً عنك.. كنت أظن أن هذا المكان هو مكان راحة صغير لك.. وخاصة لأليان؟

إليان هنا لأننى هنا. ولا تجدنى مملاً أبداً. ومن الطبيعى أنها تفضل أن تكون فى مدينة مثل ميامى. ولكنها تقنع بالأنتظار إلى أن أذهب إلى هناك.

لقد وصلنا إلى البقعة التى كنت أعمل فيها شكرا لك على رحلة اليخت.

وانحنت له بأدب، وسارت مبتعدة وما ارتاحت كتفاها إلا بعد أن ابتعدت عن أنظاره. وجلست لتبدأ الرسم، ومضى عليها وقت متوتر طويل تنتظر فيه أن يصل لينضم إليها.

وبقيت هناك إلى أن اضطرتها العتمه للعودة إلى الفيلا. فى الغد هناك أشياء أخرى تقوم بها. حتى أنها لم تلاحظ أنها جائعة. عادة كانت تأخذ الغداء فى مطعم صغير فى ساحة القرية. ولكن موعد الغداء مر اليوم دون أن تلاحظه.. عندما وصلت كان الظلام قد خيم.. وجلست مع جدها وبرنارد يتناولون العشاء، فسمعوا صوت طائرة هليكوبتر فى سماء الجزيرة الهادئة. فقال جدها:

هذا بيدرو مسافر.

أجل إنه مسافر إلى ميامى فى عمل. لقد أخبرنى هذا الصباح.

وهل شاهدته هذا الصباح؟ لم تذكرى هذا؟ ألهذا

تأخرت فى الرجوع؟

لقد بدأت أقلق لتأخرك.

كنت أعمل يا جدى. لقد رأيته فى وقت مبكر.. مركبه كان يقف فى الميناء.. وطلبت منه إزاحته.

إنه يفعل هذا بطيبة خاطر. أقول لك يا لوسى إنه منذ قدم الجزيرة أصبحت حياتى أسهل. إنه يعمل معى، أتعلمين هذا؟ لديه ناقلة بترول عدا ذلك المركب، ونحن نعمل معا فى اليخت بحثاً عن كنوز البحر.

تعملان معا؟

أجل.. ألا تظنيه مناسباً؟ يا طفلتى العزيزة إنه أحد أهم الرجال فى منطقة الكاريبى.. ووالده مستشار لعدة حكومات هنا. ولا أشك فى أن بيدرو يعمل فى نفس السياق.. فإذا لم يكن مناسباً فمن هو المناسب إذن؟

والتقت عيناها بعينى برنارد، يبدو إنه يعرف كل شئ الآن. وذهبت ليلتها إلى الفراش منزعجة جداً. فقد كانت تفكر كيف سيمضى الأسبوع قبل عودته. ووضعت

الوسادة فوق رأسها وغطت فى النوم.

وما أن حلت نهاية الأسبوع حتى استعادت لوسى طبيعتها، وعادت السكينة إلى حياتها. فبوجود بيدرو بعيداً، كانت القرية والميناء، والشاطئ لها.. لتمتع فيها دون خطر.

ولكن جدها كان ساخطاً. فرسوماته الهندسية قد انتهت وهو تواق للعودة إلى العمل فى البحر، ليتابع أبحاثه. وقالت له فى صباح أحد الأيام:

أتتصور أن أشياء رائعة بانتظار الكشف عليها فى أعماق البحر هناك. أستطيع التصور عندما تهتم بمنطقة معينة تنتشر القصة ويجتمع كل أنواع البشر عليها.فأجابها:

هذا صحيح. لكنهم سيتلقون صدمة إذا حاولوا هذا.. فالمنطقة تحت مراقبة سلاح البحرية، منذ حصلنا على ترخيص.. حسب اقتراح بيدرو.

أجل.. أتصور هذا.

أتمنى أن يعود لأكثر من سبب. أريد بدء العمل.. وهو من سيأخذنا بمركبه.. ثم أن السباق هو فى الغد.. وسيخسر سحره إذا لم يحضر بيدرو. فهو الذى يبدأ به.

وأتوقع أنه يكون هو الرابح؟

لقد أقيم السباق منذ سنوات، وربح مرتين حتى الآن.. كان سيكسب ثلاثا.. ولكن حصل معه حادث السنة الماضية، فقد كسر له شراع.

أمر مؤسف! أظن أنه يبدأ السباق بنفسه كى يتمكن من الربح.

أنت مخطئة! لقد كان هذا تقليداً قديماً من مئة سنة. وتوقف لأن الرجال لم يعد باستطاعتهم تحمل بناء قوارب جديدة، والصغار فقدوا الأهتمام بها وفقدوا بالتالى براعتهم فى صنع القوارب. ودفع بيدرو المال، وجاء بالمسنين ليعلموا الشبان، وهم يبحرون بها الآن، إنها مهنة مثيرة. وتمنع الشبان من ترك كاراكو. فالسماء تساعدنا لو أننا كنا سنعتمد فقط على السياح.. لكنت أنا غادرت الجزيرة.

وعبس فى وجهها، وهذا أمر غير عادى منه:

يبدو أنك تحملين شيئا ضد بيدرو، ولكن صدقينى أنت مخطئة. بيدرو يحبنى.. ولا يحب رُؤية الطرق القديمة تموت.

ليس تماماً.. فليس من عادة الشرفاء فى هذه المنطقة حب الفتيات الصغيرات ومعاشرتهن ثم هجرهن. وسيغير الجد رأيه لو عرف بالأمر.

أنا آسفة يا جدى. أظن أنه أزعجنى بطريقة ما.

إنه رجل.

بل أن له نزعة ديكتاتورية. على كل من يحتاج إلى رجل، ما عدا أنت يا حبيبى؟

سيأتى وقت تغيرين رأيك فيه. وأنا مندهش لأن هذا لم يحدث بعد. فأنت جميلة للنظر، وحلوة المعشر يا لوسى.

فضحكت، وقد اكتسى وجهها لمحة جادة:

توقف! لقد غمرتنى بالأرتباك.. هل صحتك حقاً ملائمة للعودة إلى العمل. يا جدى؟

وأكد لها بتصميم إنه كذلك. ولكنها لم تقتنع. وسألته بلطف:

لقد دهشت لبيعك ذلك المنزل والأرض التابعة له، لقد قلت مرة. إنك لن تفترق عنه.

حسنا لقد قال لى بيدرو أنها فكرة جيدة، فلدى الكثير لأشغل نفسى به.

توقعت هذا.. وأين وضعت المال؟ فى جوربك القديم؟

توقفى عن هذا! أنت تتصرفين مثل والدتك، مع أنها لن تقول هذا بهذه الروح المرحة.. لقد تصرف بيدرو بكل هذا. وأنا أستخدم أحد حساباته الآن.

وأحست بدمها يتجمد، وكادت تقفز من مكانها

وما السوء فى الحساب الذى كنت دائماً تملكه؟

لا يظنه بيدرو مناسباً.

وفقدت القدرة على الكلام.. هل يستطيع الأستيلاء على شؤون جدها دون أن يهتم أحد؟

ولماذا تستخدم مركبه؟

لقد بعت مركبى. فأنا لا أحتاجه.. بيدرو دائماً يأخذنا بمركبه وهو مريح أكثر.

ولم تكن بحاجة لأن يخبرها من اشتراه، ولكنه أخبرها، وأحست أنها لم تعد قادرة على البقاء حيث هى فخرجت لترمى نفسها فى مياه بركة السباحة. ماذا ستفعل حول كل هذا؟ فلو أن جدها عرف ما يجرى حقا فسيتحطم قلبه. فمن الواضح إنه يثق ببيدرو وثقة عمياء، وهى لا تستطيع فهم السبب! ولكن، ألم تفعل نفس الشئ يوما؟

يومها كبرت.. كبرت فى لحظات بعد أن علمت أنه سافر عائدا إلى بلاده. لقد أرادها لسنوات، وهى قد خطت بكل إرادتها إلى داخل خيوط عنكبوت الرغبة. وهذا كل شئ. وتحطم عالمها.. ولأسابيع كانت طريحة الفراش، مريضة. ولكنها قاومت، ودفنت نفسها فى فنها، وتسلقت إلى المزيد من النجاح، إلى أن تلاشت كل المرارة والألم.

ولن تترك رجلاً بعدها يدخل إلى حياتها.. وأدركت أنها كانت تشد أصابعهما بقبضة قوية حتى أن أظافرها غرزت فى راحتها..

الألم يعود.. ولن تتركه يعود..

العمل....! بهذا الطريق استطاعت أن تتغلب عليه فيما

مضى!

ستبدأ العمل بتصميمات جديدة.. اليوم.

وستصل إلى عمق مشكلة جدها.

وكانت نصف نائمة عندما سمعت أصواتا. فسارعت إلى تغطية نفسها متساءلة عمن أتى به جدها معه إلى المنزل. وشاهدت برنارد يتقدم نحوها ورفيقه يرمقها بعينيه السوداوين:

لم أسمع طائرة الهليوكوبتر عائدة.

ستصل الهليوكبتر فيما بعد.. لقد كان من الضرورى أن أحضر سفينة الغطس إلى هنا، لذا عدت عن طريق البحر، فسنحتاجها الأسبوع المقبل. إذا كان جدك مستعداً.

إنه مستعد.. لقد كان متوتراً هذا الصباح.. لقد انتهت خرائطه ولم يعد لديه ما يشغله.

ليس لديه ما يشغله؟ وأنت؟ هل انتهيت أيضاً؟

أجل... وأنا أحاول تقرير ما سأفعله. على الأرجح سأعود إلى نيويورك.

فوقف جامداً ينظر إليها مستلقية بالبكينى تحت الشمس: وسارع برنارد ليقول؛

ستفعلين ماذا؟ إسمعى يا شريكتى.. لقد أتيت إلى هنا بناء على الحاحك.. وأنا مرتاح هنا.. ولا أريد الذهاب بعد.

وكادت تقتله لساعتها ولكنه بدا معتداً بنفسه فقالت:

إبق إذن. فأنا واثقة أن جدى سيتمتع بصحبتك.

ولكننى سأذهب إلى ميامى، وسأعيش فى الشقة.

أية شقة؟

واستند بيدرو إلى حائط الحديقة وقال:

فى شقتى.. إنها فارغة إلا من مدبرة المنزل التى ستكون سعيدة للعناية ببرنارد.

لقد عرض على بيدرو استعارة شقته، لماذا لا تأتين معى؟

إذن هو بيدرو الآن وبرنارد، وذلك الناكر للصداقة يعتمد على عدوها.

لا، شكراً.. سأبقى مع جدى أو أعود إلى نيويورك.

وجلس بيدرو إلى قربها بعد أن أعتذر برنارد وذهب. فاستدارت إليه بغضب، ورمت بالكلمات بحدة:

ماذا تقصد بكل هذا؟

أساعد فناناً. وأنا واثق أن مدبرة منزلى ستتأكد من عدم تخريب صديقك الهيبى للمنزل.

صديقى الهيبى؟ لقد كان برنارد الصديق منذ دقيقتين، رفيقك الطيب!

آه.. لم أكن واثق منذ دقيقتين أننى سأنجح بما أريد.

حسناً، إذا كنت تتصور أننى سأذهب..

أنت لست ذاهبة.. لست مدعوة. صديقك هو من دعاك، وليس أنا لذا كان من الخير أن رفضت. أريدك هنا. فبعد بضعة أيام ستجيئى معنا لتغطسى فى البحر لأجل جدك. وسأكون معك.

لن أفعل وحياتك!

وقفزت واقفة، ولكنها سارعت إلى الجلوس ثانية بعد أن أحست بعينيه تحرقان جسدها العارى إلا من البكينى

الرفيع. وأحست بالألم فى داخلها.. اللعنة عليه! ماذا يحاول أن يفعل الآن؟

وقال ببرود:

ربما سآخذ معى إليان هذه المرة.. السفينة كبيرة انظرى إنها هناك إسمها (سى وايف) وبإمكانك إحتلال ثلثها إذا أردت.

لا علاقة لى بالأمر. عندما سيبدأ جدى بالعمل سأسافر. فلدى معرض أحضره هناك.

أجل.. دار أزياءك لا زال قوى السمعة، وهذا المعرض هل سيزيده شهرة؟

ليس الأمر هكذا! أنا فنانة.. وكل ما أريده هو إظهار أزيائى للناس.

يمكنك تنفيذ أزيائك فى أى مكان من العالم، هنا، ميامى، فوق السفينة، أنت تتعلقين بصديقك كثيرا.. هل يساعدك نسيان أنك يوماً كنت ترغبين بى، وأننى أنا من أمتلكتك؟

الذكرى فى عينيك، وأنا فى عقلك.. حتى ولو لم تكونى بين ذراعى. أنك لم تنسى أبداً ما كانت مشاعرنا معا. أنها ذكرى فى كل نسمة هواء تتنشقيها.

لقد نسيت تماماً.. وبرنارد هو أكثر من صديق، وأظننى شرحت لك هذا.

أجل لقد فعلت.. ولكن شرحه كان مختلفاً. إنه مجرد شريك، أنتما تديران داراً للأزياء معاً. وهو ليس من النوع المزواج. وحتى ولو كان، فلوسى لن تلمسه.. أظن أن هذه كلماته بالضبط. وبالطبع أنت تفهمينه أكثر منى؟

وأخذت لوسى ترتجف، وجف فمها، فحدق بها بسعادة ظالمة، ضحكته ناعمة وخطرة.

هل ذعرت يا لوسى؟ هل جعلتك السنين خائفة؟ أم أنك لم تعودى معتادة على ذراعى رجل؟ لقد علمت، على مسؤولية، برنارد أنك لم تتقابلى مع رجل أبداً. وأن كل خروجك فى المناسبات يكون ضمن مجموعة. فلا بد أنك تبقين من يحبك مخيفاً تماماً.

برنارد يعرف حياتى الخاصة جيداً.. وأنا أبقيها خاصة قدر الأمكان.

أظنك تكذبين.. وأظن أن حبيبا واحدا كان يكفيك.لن تكتشف الحقيقة أبداً...!

أنتم مدعوون إلى العشاء.. عند السابعة والنصف، وستكونون هناك جميعاً..

ووقف ليذهب فى الوقت الذى خرج فيه برنارد إلى بركة السباحة فنظر إلى لوسى قلقاً:

هل هذا أمر امبراطورى؟

ولم ترد عليه بل لحقت بيبدرو وفتحت باب سيارته قبل أن ينطلق:

لماذا تريدنا أن نذهب إلى منزلك الليلة؟

لدى أمور أتناقشها مع جدك. ولا أريدك لوحدك مع هذا الرجل.

نحن نمضى الساعات والأيام معاً.

حسنا لن تفعلى هذا بعد اليوم. حتى ولو كان شريكك!

وإذا لم تذهبى مع جدك سأجئ لأحضرك وأعلن لجدك أننا كنا عاشقين. ونحن نعيش هنا فى جزر البحر الكاريبى وجدك الآن ينتمى إلى هنا أكثر من أميركا أو بريطانيا.. وبعدها ستأخذ الأمور بالعناية بنفسها.

لن تجرؤ.!

لقد كنت لطيفاً معك. ولست أرى سبباً لأن أكون لطيفاً بعد الآن، لقد قلت لى أن لك عدة تجارب مع الرجال، والنساء المجربات لسن بحاجة للطف.

لا تحاول أن تقولى لى أنك لا زلت تحبنى!

أحبك؟ لا أذكر أن مثل هذه الكلمة الغريبة صدرت عنى! أنا راغب بك فقط!

ولكننى سأفعل ما أشاء.

ليس وأنا موجود.. فتأكدى من وصولك إلى منزلى... سأتحول إلى مجرم إذا لم تذهبى.. وسيتحمل صديقك جزء من غضبى.

وتركها وانصرف دون أن ينظر إليها.

عندما وصلوا مساء، كان واضحا أن الدعوة خاصة بهم. ومن المؤكد أن تكون الوجبة مخصصة لمناقشة العمل، وتمنت أن لا تترك لوحدها مع إليان.

وتأبط ذراعها حال أن شاهدها، وقادها فوراً إلى الشرفة.

تعالى.. لقد قطعت وعداً. أنوار السفينة مضاءة و (السى وايف) تشع الآن بالأنوار.

ولم يكن أمامها سوى أن تنظر بإعجاب إلى المنظر. وهب هواء خفيف دافء، وأخذت خصلات شعرها فقال بيدرو.

هذا الهواء إذا استمر سيزيد من سرعة قوارب السباق فى الغد... هل تشعرين بالبرد؟

ولم ينتظر الرد، وبدلاً من أن يعيدها إلى الداخل، خلع سترته ووضعها على كتفيها. وحاولت أن تخلعها:

أنا.. أنا على ما يرام.

كان فيها دفئه، وأحست بهذا الدفء. وفيها رائحته، وعاودتها الذكريات حتى جف فمها.

هذه احتجاجات فارغة. وأدب فارغ.. هذه الأشياء غير ضرورية بيننا.. لقد قلت لك هذا وأنت طفلة.

لم أكن طفلة! كنت فى التاسعة عشرة!

صـغـيـرة جـدا.. ولكنك لست كـذلك الآن. ولا لزوم للتظاهر بـأنك دافـئـة.. بإمكانك الآن النظر إلى (السى وايف) بارتياح!

واجتاحتها موجة من الخوف فقالت:

هل لنا أن ندخل؟

لا تكونى حمقاء. أنت لم تنظرى بعد إليها.. ما رأيك بها؟

ولم تستطع أن تكبح شهقة إعجاب وسرور، فهمس لها:

أرأيت؟ لقد أعجبتك. أنظرى إليها جيداً.. فلدى الطاقم تعليمات بإطفاء الأنوار عند التاسعة. وما هذه الإضاءة إلا من أجلك.

ولكن لماذا؟

لأسعدك.. ألا يسمح لى بإسعادك؟

ومرت أصابعه على ذقنها وأحست بأن ذراعه تلف كتفيها. وأحست بأن الخوف أخذ يتلاشى وفى مكانه أخذ يتصاعد نوع من التنويم، وكأنها تنوم مغناطيسياً. وقالت حالمة:

إنها.. تبدو كالبروش الألماسى.. يجب أن ألقى عليها نظرة أخيرة.

تعالى معنا يا لوسى.. وستكونين جزءا من الجواهر التى ستلمع فى الليل.

أنا.. لا أستطيع.

أريدك أن تأتى وأنا معتاد أن أحصل على ما أريد. فاحذرى يا لوسى.. أنا لا أقبل بكلمة (لا) كرد على طلبى.

وبدون جهد، كان يشدها إليه، وفى الواقع لم تكن تعرف ماذا يجعلها تلتصق بجسده القوى. وفجأة كانت مضغوطة عليه ولم يعد لديها الوقت لتقاوم أو تتمنع وشفتاه تطبقان عليها.

ولم يكن بتلك الوحشية التى مارسها على المركب.. بل كان بيدرو كما كانت تعرفه.. وكان عليها أن تثور، أن

تتذكر ما جرى لها. ولكن عناقه أرجعها تماماً إلى الماضى. ورفض ذهنها أن يعترف بهذه المعرفة. فما اعترف به، هو الدفء.. وتلاشت إرادتها بالمقاومة وهى تحس بحرارته، وانزلقت ذراعه عن كتفيها إلى خصرها، وأمسك بيده الأخرى رأسها يشده إليه. كل شئ كان صريحا.. إنه بيدرو كما كانت تحلم به منذ سنوات.

وانزلقت سترته عن كتفيها، صلابتها جعلتها تعود إلى الواقع. هل جنت، وتصلب جسدها، وسحبت رأسها بقوة إلى الخلف فنظر إليها وقال بسخرية:

لقد عاودتك الذكرى.. لقد عادت المرارة إلى ذهنك. فلننضم إلى الآخرين إذن قبل أن يخرجوا للتفتيش عنا.

وأحست بالخجل من تعاونها معه، وغضبت بمرارة. وقالت بحدة:

ألا يمكن أن تحذرنى مسبقاً عندما تقرر مهاجمتى فى المرة القادمة؟

أهاجمك؟ وهل كان هذا هجوم؟ إذا كنت تريدين أن أتصرف بخشونة فأنا قادر على هذا!

أنا لا أريد منك شيئا على الأطلاق!

ولكن ليس هذا هو الأنطباع الذى أحسست به. على كل الوقت كفيل بكشف الأمر.

لن يكون هناك وقت قادم. فأنا مسافرة.

هل تهربين إلى أبيك؟ أنت لم تكبرى أبداً إذن يا لوسى؟

إننى أعرف الذئب عندما أراه.. وماذا تتصور أننى سأفعل هل تظن أننى سأسير إلى نفس الفخ بمحض إرادتى ثانية. أنا سليلة عائلة اسكوتلندية ولا نزال نحافظ على التقاليد.

فلندخل إذن، فالأطفال لا يجب أن يبقوا فى الهواء البارد كثيرا.

وانحنى يستعيد سترته ثم ينفضها، فسارت لوسى نحو الأبواب تشعر بالتصلب من الأنزعاج حتى أنها كانت لا تزال ترتجف. ولكن بيدرو أمسك بها قبل أن تدخل.

لحظة..

وأدارها لتواجهه وملس شعرها بيده قائلا بسخرية.

هاك يا صغيرتى لقد عدت مرتبة من جديد.. ولن يشك أحد بأنك أصبحت إمرأة، فلقد تركت الفنانة والطفلة وراءك، وعدت إلى طبيعتك، وليس فى عينيك سوى ذكرى الجوهرة التى فى البحر.

والتقيا فور دخولهما بإليان التى بادرتها فوراً:

هل كان بريك السفينة.. لقد شاهدتها بنفسى عدة مرات وكنت على متنها كذلك، لذا فقد بريقها بالنسبة لى.

كم هذا مؤسف، لابد أن الحياة تصبح مملة عند تفقد الأشياء بريقها آنسة... أنا لا أعرف أسمك بعد..

فرد عليها بيدرو بابتسامة ساخرة:

ظننت أنك قد تقنعين بمناداتها باسم إليان. فإذا كنت تريدين الرسميات فإسمها السيدة ريكليس. وهذا إسم ابن خالى، فهى زوجته وفى إجازة مرضية هنا، فنحن عادة نعتنى بأى عضو مريض من العائلة. ولكنها تحسنت الآن، أليس كذلك يا عزيزتى؟

أجل يا بيدرو. والفضل لك.

إذن هيا بنا نأكل.

وأحست لوسى أنها تخطت حداً غير مرئى، خط عائلى لا يجب على غريب تجاوزه.. ومن الطبيعى أن يكون من المحرمات أن يكون له أية علاقة مع زوجة ابن خاله. وقاطع الجد أفكارها.السباق سيكون مثيراً. وبمثل هذه الريح ستكون السرعة عالية.

وأجاب بيدرو:

هذا ما كنت أقوله للوسى.. وكنت سأقترح عليها أمراً قبل أن تصر على العودة إلى الداخل.

واستدار ليوجه الكلام لها:

أتساءل عما إذا كنت ترغبين فى مساعدتى على الإبحار غدا؟

فاستدارت إليان إليه:

حبيبى السباق ليس لعبة! فشرفك فى الميزان! ولن ترمى فرصتك للنصر بأخذك من هو غير قادر على الإبحار؟

ولكن لوسى ليست غير قادرة على الرغم من مظهرها الحالم. إنها تشارك فى سباق القوارب فى مياه أدعوها خطرة ومجنونة.

ولكن هناك آخرون فى ...

فقاطعها بحزم:

أنا أريد لوسى معى، وليس الآخرون!

وقالت له لوسى بحلاوة حادة:

أنا لا أرفض أى تحدى سيد دى سانتانا، وسأكون أكثر من سعيدة لأن أبحر الزورق معك. ولا أظنه يختلف كثيرا عن السباقات فى البحيرات... وأنا مثلك، أسعى لأكسب.

هذا من حسن حظى إذن.

ولكن لسباق واحد فقط.

فقال ساخراً.

بعينين مثل عيناك كيف يمكن أن نخسر؟

لو أن بيدرو يدفع إليان للغضب والغيرة فقد نجح تماماً.

وسارعت للقول بغضب ظاهر:

حسناً أتمنى لكما الحظ. ولكن لسوء الحظ لن أكون هنا لأشاهد السباق فقد قررت السفر إلى بيتى غدا.. هل تقرضنى الهليوكوبتر فى الصباح يا بيدرو؟

بالطبع يا عزيزتى. سأفتقدك. ولكننى أعرف أنك تحبين مباهج المدينة.. سأتوقع مجيئك فى القريب العاجل.

وتحول الحديث كله عن السباق.. ولاذت لوسى بالصمت.. فربما كانت قضمتها أكبر من أن تستطيع ابتلاعها..

فى الفيلا.. خرجت إلى الشرفة ولحق بها برنارد وقال:

أعتقد أنك لاحظت أنه يريد التخلص منى؟ حتى أنه جرنى لأتحدث عنك كثيراً.. هذا الشيطان.

لا بأس يا برنارد. قد أكون رقيقة القلب.. ولكنه قلبى الوحيد وأنا أحميه جيداً. إذهب إلى ميامى وضميرك

مرتاح فإليان ستذهب غداً.

إذن لن أذهب، فتلك المرأة تجعلني أرتجف. ثم ما نوع الصديق أنا إذا لم أبق لأبهجك؟ أنت تبدين كجنية البحر فلك عينان خضراوان وشعر متموج.

وذكرتها كلماته بكلمات بيدرو، فأحسست بالقشعريرة.

كم يا ترى يكون قلبها سالم عندما يكون بقربها؟

أبداً لن أهزم

نسيت كل مخاوفها فى الصباح التالى وهى تتجه مع جدها فى سيارته وبرفقة برنارد إلى الخليج.. وبالرغم من ذلك فقد أحست بزيادة فى سرعة نبضاتها عندما فكرت بلقاء بيدرو ثانية فى ضوء النهار.

ومع أن السباق قد استولى على كل تفكيرها، فلم يكن الربح هو السبب، بل مجرد المتعة. وهى تعلم أنها كالعادة ستعوض عن أى نقص فى الخبرة بالحماسة، وهذه كلمات والدها لها عندما كانت تربح أى سباق.

وشاهدت بيدرو على الفور.. حتى بين عشرات الرجال السمر ذوى الشعور السوداء كان يبدو مختلفا. وأحست بلحظة خوف، ولكنه جذبها إليه كالمغناطيس.

جدى!

حظاً سعيداً لوسى..! وتذكرى أنك الأقرب والأعز. فلا تخذلينى. وكان الجميع يحدق بها ولكن النظرة الوحيدة التى كانت تهمها هى عينى بيدرو دى سانتانا.

عمت صباحا سنيوريتا، هل ستبحرين مع السنيور دى سانتانا؟

وابتسم الرجال الواقفين هناك، وهزت لوسى رأسها مبتسمة لتحييهم.

أجل.. سأبحر معه.. وسأقوم بما أستطيع من جهد.

إعترافها جعل العديد من الرجال يهزون رأسهم، وجلب العبوس غير الموافق من آخرين فالسنيور دى سانتانا يكسر تقليداً قديماً ويعنف بسماحة لأمرأة أن تساعده.

وقال أحد الشبان وهو يضحك:

عافاك الله سنيوريتا، أنا واثق من الربح إذاً.

لا تستعجل بشكرى.. فأنا لا أستسلم بسهولة.

ولكنك إمـرأة، ولذا فلست قـادرة على التـعـامـل مع المراكب، إنها ثقيلة عليك.

فابتسمت وتحركت نـحو بيدرو الذى كان يستمع إلى الحـوار وهو يبـتـسم. وردت على الشـاب وهى تـأخـذ يد بيدرو لتقفز إلى القارب:

سنرى أيها الفتى!

ونظر إليـها بيدرو بإعجاب إلى أن لاحظ (الصندال) الذى ترتديه فقال:

كـان الأفـضـل أن ترتدى حـذاء مطاط فـهناك تحـرك كثيرا أمامنا وهذا الصندال يبدو رقيقا.

ورمت الصندال من قديمها ووقفت حافية:

ولكن قدمـاى ليست رقيقـة. فـأنا مـعتادة على الحـفـاء أكثر من أى شئ آخر. فإذا كان هذا قلقك الوحيد فانسى الأمر.

آه.. نعم.. الفتاة الحافية.. أنت كما كنت.

الإنسـان سـريع الإصـابة دون حـذاء لذا إحـذر من أن تدروس على قدمى. وسأتدبر أمرى.

حسب ما يقوله الرجال ستكونين إعاقة كبرى لى. وألاحظ أن الكثير منهم قد ابتهج بعدما شاهدك.

إذن علينا أن نمسح الإبتسام عن وجوههم.

كلهم راغبون بالفوز.. وديمتربوس هذا سيتزوج فى الغد.. والجائزة ستكون مكملة لسعادته.

كم هذا مؤسف! سيضطر لأن يقنع بالعروس فقط. يقولون إننى لست قوية للملاحة، وأن القوارب ثقيلة على.

هذا صحيح. على كل، لدى عضلات تكفى لأثنين.. فأطيعى أوامرى وتحركى بسرعة. فأنت بالنسبة لى مجرد جالبة للحظ.

وشخصت أنظار الجميع إلى الصخرة العالية فوق الخليج، واقترب شخص من الحافة فسألت:

من هذا؟

إنه العمدة ألا ترين شاربه الضخم.. أصمتى فهو سيعطى إشارة بدء السباق. ويجب أن ننطلق بسرعة.

وصاح العمدة بصوت تردد صداه فى الخليج:

مرحبا لكم جميعاً!

ونظرت كل العيون إلى الصخرة وإلى ذراع العمدة ترتفع. صوت رصاصة البداية كانت أعلى صوتاً مما توقعت لوسى. ولكنها كانت مستعدة.. فقد كان والدها خصم عنيد فى السباقات.. ويداها ممسكتان بالحبال بحزم الآن وهما يبحران خارج الخليج إلى المياه العميقة.

وعلى الفور علمت أن الرجال على حق، فهذا ليس بزورق سباق كالذى اعتادت عليه.. كان له التوازن والجمال الخاص به وما أن وصلا إلى الصخور العملاقة التى تحرس الميناء حتى كانت لوسى قد بدأت تعتاد على الزورق.

وكان على بيدرو أن يصدر الأوامر لها، وتحركت بسرعة وخبرة كما يتطلب العمل. مطلقة العمود الذى يرفع الشراع الأحمر. مبقية الأشرعة متجهة مع الريح.. وحاولت أن تمد جسدها خارج المركب كما كانت تفعل بالزورق الخفيف لتعطيه التوازن، فصاح بها بيدرو بصوت كالسوط:

لا.. لا لزوم لهذا، إطيعى الأوامر فقط.

فصاحت:

ذلك المركب ذو الشراع الأزرق يربح علينا.

إنه ديمتريوس. مصمم على الربح.

دعيه وشأنه، تحركاتك خطرة، وجدك لن يشكرنى لو ربحت السباق وأغرقت حفيدته. إستعدى عندما أناديك.. فالرياح تتبدل، وسوف نشعر بها عندما نخرج إلى عرض البحر، قرب غرب الجزيرة.

وتجاوزا الميناء غير منتبهين للحشود هناك التى تحييهما بجنون. ثلاثة قوارب كانت تتسابق فى المقدمة الآن. والثلاثة متوازن مع بعضهم.

كان فى بيدرو إرادة أبيها الصلبة.. وكان يلازم اليابسة فى إبحاره، وعندما وصلا إلى المياه المفتوحة، أقبل المد مسارعاً باتجاههما.. فصاح بها:

الآن لوسى! هيا! أديريه!

وأطاعته على الفور، فأدارت الشراع الثقيل إلى الجهة المعاكسة. ثم انتقلت إلى الشراع الآخر بينما كان بيدرو

يرسل القارب لينزلق بخفة وسرعة قرب الخط الساحلى، يركب المد ويطير فوق موجاته وكأنه المتزلج فوق زلاجته. وقفز بهما القارب إلى الأمام، لتبتعد المسافة بينهما وبين الآخرين. ومن زاوية عينها شاهدت ديمتريوس، يلتقط المد بدوره، ببطء أكثر من بيدرو، ولكن بما يكفى لأن يقفز قاربه وكأنه حيوان متوحش وترددت صدى صيحة لوسى المبتهجة فوق الماء:

عظيم!

ونظر بيدرو إلى وجهها المتألق فرحاً، ثم أعاد انتباهه إلى مهمته الخطرة... وطارت ربطة شعرها، وأخذ يلوح فى الهواء، وخداها بلون الدم المتوحش. وصاح بها:

يا طفلة البحر! إستعدى. عندما نستدير حول الجزيرة سنخسر كل ما كسبناه من تقدم.. والآخرون ليسوا أغبياء، وفى النهاية سيستفيدون من المد.

ليس أمامنا سوى ديمتريوس يقلقنا.. إنه ملتصق بنا كالصمغ!

الرجل يفعل الكثير من أجل المرأة التى يحب. .

وشقيق زوجته القادمة يبحر معه.. لذا فشرفة على المحك.

وكذلك هي. فلو خسرا، فالرجال سيلومون بيدرو لأختياره إمرأة لتساعده. وسيتفضل بيدرو عليها، وهذا ما لن تحتمله.

واستدار حول الجزيرة، وأصبح القارب الآن مخبئاً من الريح، وانخفضت سرعتهما وكأن المركب توقف.

والتفتت لوسى حولها وصاحت:

إنه قادم نحونا.

فهز بيدرو كتفيه..

سيخسر سرعته هو أيضاً. ولن نخسر شيئاً.

ولكنها لم تكن تفكر هكذا فالمسافة بدت أقصر بكثير الآن بينهما، ولاحظت أن الشراع يتراخى، فصاحت:

- إبتعد عن خط الساحل... وسنلتقط الريح أكثر!

ونزيد من المسافة؟ إصبرى آنسة ماكدونالد.

ولم تشعر بالقدرة على الصبر... فمن الصعب عليها أن تبحر هكذا براحة أعصاب بينما هي تعرف أنها

بقاربها الصغير كانت ستخرج إلى عرض البحر تبحث عن الريح. وامتدت يدها إلى الحبال، ولكن صيحة بيدرو أوقفتها.. لابد أنه يعرف ماذا يفعل. ولقد كسب هذا السباق من قبل. وعليها أن تكبح قلة صبرها.

وما أن ابتعدا عن الجهة المعاكسة للريح من الجزيرة، وواجها الريح ثانية حتى اكتسبا، وللحظات، فرصة جديدة، ولكن ديمتريوس قلص المسافة ببراعة، وبدا لها أن بيدرو لم يكن يحاول.. وبدا الخليج أمامها، فاستدارت إليه غاضبة:

إنه يحاذينا تقريباً! ويمكننا اكتساب سرعة أكثر بعيداً عن هنا! ماذا دهاك؟

يوم زفافه فى الغد يا لوسى، وسيكون من الجيد له أن يكسب ولو بتقدم شعره واحدة... وبإمكاننا بسهولة أن نربح فأنت أخف وزناً من مساعده، وقاربى أفضل من قاربه.. وسيكون أمامنا وقت آخر للربح. وبإمكانى أن أكون كريما.

وقفزت لوسى إلى العمل وهى تقول:

ولكننى لا أستطيع! إذا كنت تظن أننى سأستمع إلى هذا الهواء والكبرياء الرجالى حول أن المرأة لا مكان لها فوق القارب، فأنت مخطئ!

لوسى!

ولكنها هذه المرة لم تستمع لتحذيره. فهى أيضا تفهم الريح وتعرف الأبحار. وأخذت تطير فوق المركب كالريح نفسها.. تفرد هذا الشراع لتجمع فيه آخر هبة ريح... مصممة على تجاهل بيدرو إلى أن لم يعد يستطيع فعل شئ سوى أن يساعدها. وكانت تميل بكامل جسدها خارج القارب عندما قطع خط النهاية. وبدا لها الشراع الأزرق للقارب الآخر وكأنه يسد عنها الرؤية..

هذا يكفى!

وأعادتها صيحة بيدرو إلى وعيها، فغرقت فى مقعد فى وقت كان المركبان يتهاديان نحو الخليج الصغير المكتظ بالناس. واستدارت لتلتقى نظرتها بعينى ديمتريوس الشاب، لترى خيبة الأمل ممزوجة بالأعجاب.

وكانت ساقاها ترتجفان من التعب عندما ساعدها

بيدرو للنزول إلى البر... وقال العمدة بارتباك:

إنها المرة الأولى التى نحصل فيها على نهاية مباراة بمثل هذا التقارب من التعادل. فلست أذكر حتى منذ الأيام القديمة أن هذا حصل... ولكن ليس هناك سوى جائزة انتصار واحدة.

ونظر بيدرو إلى لوسى، وفى عينيه حيرة. واستطاعت أن تشاهد الخيبة على وجه الشابة التى تتعلق بذراع ديمتريوس. فقالت بصوت مرتفع واضح:

أظن أن علينا أن نعترف بالنصر للقارب الآخر... فنحن قد حصلنا على حظ أوفر.. فأنا لست برجل. وما من شك فى أنه لو أخذ السنيور دى سانتانا رجلا مكانى لكان خسر.

وتصاعدت أصوات الضحك الذى شارك فيه حتى الكبار فى السن. وهز بيدرو رأسه للعمدة وسروره باد على وجهه.. وتلقت لوسى إبتسامة ونظرة اعتذار حزينة من ديمتريوس. وقال:

ربما فى الأحتفال الراقص الليلة بإمكانها أن ترقص

وتغلب الرجال فى لعبتهم الخاصة؟

وقال بيدرو ضاحكا:

أنا لم أدعها بعد.. وسنرى ماذا ستفعل..

وتعالت الأصوات باللغة المحلية فى حديث إعجاب عن لوسى وأكد لها هذا انزلاق ذراع إلى خصرها ليمسكها بقوة ويتقدم بها إلى حيث يقف جدها.

وأرادت أن تسحب نفسها من قبضته.. فتصرف شوفينى منه ليس هوما تريده. ولكن ذراعه كانت دافئة وثابتة وكان عليها أن تقاوم رغباتها الأخرى. وسألته بهدوء بعد أن ابتعد عن الآخرين:

هل قلت الشئ المناسب؟

أجل يا لوسى. فأنت، وكما قلت أكثر من مرة، شخصية غير عادية. لقد أرضيت كبرياء الجميع.. والرجال معجبون ببراعتك وشجاعتك، وديمتريوس حصل على جائزته، مع أننى لا أرغب فى أن أواجه مثل ما حصل ثانية.

فتوقفت مستديرة لتواجهه:

ولماذا؟

ونظر إليها بجدية:

لقد عصيت أوامرى. فالأبحار فى مياه الجزيرة ليس كمثل الأبحار فى مياه البحيرات. والقوارب لا نتعامل معها كما الزوارق. وأنت لم تلاحظى أنك فى النهاية كنت معرضة للخطر. وصحيح أنك اجتذبت آخر قطرة من السرعة فى المركب، ولكن من الصحيح أيضا أننا كدنا نتقلب.

بإمكانى السباحة!

لن تفعلى هذا ثانية!

ونظر إليها بعناد، وأحست فجأة بعدم القدرة على النقاش.. وارتفعت يده إلى شعرها، وأرجعه إلى الوراء عن جبهتها.

لقد خسرت ربطة شعرك الزرقاء يا عزيزتى... أنت مليئة بالحيوية أليس كذلك؟ أنت تعيشين كل لحظة من حياتك... متهورة، مصممة، متألقة، وكأنك تسيرين فوق

الريح.. ولو كنت دون مـشـاغل فى هذه الدنيـا .. لجلست أراقبك فقط.

أنا.. لا أريدك.. أن .. تراقبنى...

ولكن أصبعه ضغط على فمها، ليذكرها بضغط شفتيه فى الليلة السابقة، والليالى العديدة السابقة.

لقد فات الآوان يا لوسى. لقد لاحظت كل شئ. وكذلك عدت أذكر كل شئ.

وأخـذ صـدرها يعلو ويهـبط تحت قـمـيـصـهـا (التى شيرت) ولاحظ بيدرو ذلك أيضـا .. فـقال ويده تشتد على خصرها وسألها بنعومة:

هل أنت بخير؟

أجل.. ولكن.. جدى...

لا تخافى الآن. سـأمضى بعض اللحظات مع جدك ثم أخلصك من صحبتى.

وسارع برنارد لأنقاذها، وهو ملئ بالأثارة:

كنت رائعة! سأنشر هذه القصة فى كل المدينة عندما نعود!

وضحكت لوسى، وقد سرها الخلاص من بيدرو مع أنها لم تتخلص بعد من إثارة السباق.

وهل هذا سيجعلنى أكثر شهرة؟

حبيبتى.. لطالما كنت مهتما بك، ولكنك لم تلاحظى هذا أبدا.

آه.. لابد أنك تريد أن تكوى قمصانك.

والتفتت لسماع صوت بيدرو يقول.

كونى جاهزة عند السابعة، أدعوكم جميعا إلى الأحتفال.. سأحضر إلى الفيلا، وربما يأخذنا جدك إلى الشاطئ.

واستدارت بقوة متمسكة بذراع برنارد.. لن تقع تحت سيطرته ثانية..

عندما نزلت من غرفتها، والساعة تجاوزت السادسة، كان جدها وبرنارد جاهزين أيضاً. فاستدارت على نفسها، دون أن تلاحظ وجود بيدرو هناك، وقالت بمرح:

هل أنا جميلة!

رائعة!

وكان صوت بيدرو الذى أجاب. فاستدارت لتجده جالسا فى الظل. وأضاف:

الأفضل أن تضعى شيئا يغطى ذراعيك لأن الليل بارد.

كان يرتدى زيا لم تشاهده فيه من قبل: بنطلون أسود ضيق يدخل عند الساق تحت (جزمة) جلدية عالية، وقميص حريرى أسود يلتصق بجسده، ولاحظ دهشتها فقال

الليلة مناسبة لأرتداء الأزياء الوطنية. وهذا بلدى. فإذا ظهرت بثياب عادية سيعتبر ذلك إهانة، إلا يعجبك؟

أنت .. تبدو.. رائعا.. غير عادى.

والتفتت إلى جدها:

هل أنت جاهز يا جدى.

جاهز كما دائماً!

واستدارت إلى برنارد.. يبدو إنه اعتاد النظافة هذه الأيام. قميصه الأزرق يبدو مرتبا على بنطلونه الجينز، وللعجب، كان هذا نظيفاً أيضاً.

انتظر.. لدى شئ لك.

وغابت فى غرفتها لحظات وعادت بوشاح براق:

إذا كان الرجال سيبدون غير عاديين الليلة.. فلا أستطيع أن أتركك مختلفا عنهم!

وربطت الوشاح حول رقبته فنظر إليها بسخرية. وهو يعلم تماماً ما تقصده. وتابعت:

هاى.. لقد أصبحت أسمر اللون! رقبتك برونزية.. وهذا يغرينى.

أستطيع أن أرى هذا.. ولكن لا تلتصقى بى مع ذلك يا طفلتى، واهتمى بنفسك.. إنه وقت الخيار، وأنا لن أختار أن أسحق تحت إحدى هذه القبضات السمراء.

وأعاد هذا لوسى إلى إدراك ما تفعله، فخجلت من نفسها. أجل.. ستتعامل مع بيدرو بنفسها!

والتفت بيدرو من مقعده الأمامى قرب جدها فى السيارة ليقول لها:

هذا الصباح أذهلتهم ببراعتك فى الإبحار. فهل ستدوخيهم هذا المساء برقصك؟

لا أعرف كيف أرقص.

فقال لجدها:

مندهش لماذا لم تعلم لوسى الرقص بعد.

باستطاعتها أن ترقص جيدا. عندما كانت صغيرة وكانت تزورنى هنا كانت تلعب مع الكثير من أترابها فى الجزيرة، وشاركت فى العديد من الأحتفالات. ولا أظن أنها نسيت.. ربما تكون تعبة، فقد نامت طوال بعد الظهر.

فقالت لوسى بحدة:

شكرا لك يا جدى.. بإمكانى الأستغناء عن الأستمتاع إلى هذا الحديث الرجالى. فلست بلهاء!

ولكن هذا صحيح يا عزيزتى! أنت تجيدين الرقص.. ولقد نمت طوال بعد الظهر.

وهمس برنارد

إنهما ينمران عليك يا طفلتى.

وصمت فجأة بعد أن رمقته بنظرة غاضبة، ولكزته بحدة فى ضلوعه.

وكان فعلا حفل للذكرى.. فقد كانت الموائد معدة بعيداً عن المقاعد، وذهب الجميع لإحضار طعامهم، وليجتمعوا مجموعات صغيرة ويتناولوا طعامهم. واجتمع الأصدقاء للحديث والضحك والتمتع. وكان الظلام شاملا ما عدا نور النار المتقدة فى الوسط. وجلست مع بيدرو وجدها، وأخذ الناس يتدفقون إليهم، وبدا واضحا كم يحب الناس بيدرو وجدها وكم يحترمونهما. ومال إليها بيدرو بعد أن ذهب جدها وبرنارد لإحضار الطعام وقال مشيرا إلى صحنه:

هل جربت أكل هذا؟ إنه لذيذ.

لست جائعة:

حاولى أكل قطعة صغيرة.

وقبل أن تستطيع منعه وضع قطعة فى فمها فابتلعتها بسرعة.. وقال لها:

أظن إننى لا أعرف كيف أصوب. فهناك القليل منه على شفتيك. ومد باهمه ليمسح شفتيها، ثم اتسعت لمسته، وأخذ إصبعه يمر على طوال فمها. وكان بإمكانها أن تبعد رأسها عنه، ولكنها أحست ثانية إنها منومة،

تحدق بعينيه السوداوين.

بيدرو.. أرجوك!

وتحرك إصبعه إلى فكها، وابتسمت عيناه:

هل أنت خائفة منى؟ لماذا؟

لست خائفة! ولكن مثل هذا التصرف يزعجنى.. إنه تصرف غير لطيف.

ولكننى لست لطيفاً. ألا تعرفين هذا؟ أنا دون أخلاق.. وآخذ ما أريده بالقوة. وأنا خطر ويجب تجنبى..

أنت تصف نفسك بشكل جيد.

وأنت.. ألا أزال أجعلك ترجفى؟ لماذا لا تستسلمى لى بكل بساطة؟

وأقبلت مجموعة فتيات لتقف قربها:

أترقصين سنيوريتا؟

هذا يعنى لها الخلاص، وهذا أمر جيد. وجلس بيدرو وعيناه تلمعان فى النار يراقبها، وبعد قليل كانت ترقص

فى وسط النساء.

بعد عدة محاولات فاشلة، استعادت براعتها فى الرقص. حتى أنها نسيت بيدرو وجدها وبرنارد وأخذت تتمايل وتقفز مع الراقصات، والمجموعة تدور حول النار.

وازدادت سرعة الموسيقى وقوتها فجأة، ولاحظت لوسى عندها أن الرجال انضموا إلى الراقصات اللواتى كسرن حلقتهن ليفسحن مجالا لهم. ولم يكن عليها أن تنظر كى تعرف أن يدها الآن قد أصبحت متشابكة بيد بيدرو.

ورفعها فى الهواء، يداه ثابتتان وقويتان حول خصرها النحيل، يستدير بها ويعلو ويهبط حسب النغم:

إذن أنت تعرفين كيف ترقصى؟

لم يكن يبدو لها الآن وكأنه نفس الرجل الذى طارد أحلامها طوال خمس سنوات.. إنه الآن لا يشبه البشر، كله قوة، يضج بالسعادة لعلمه بتأثيره عليها.. وما أن توقف الرقص حتى كانت لوسى بالكاد تستطيع التنفس. وقالت لها إمرأة مسنة:

جدك قد ذهب سنيوريتا. لقد ذهب مع ذلك الشاب الذى يقيم معه. وقال أنك ستذهبى إلى المنزل مع السنيور دى سا نتانا.

إذن لقد هجراها. وكان برنارد جادا عندما قال أن عليها التعامل مع بيدرو بنفسها. فقالت للمرأة:

شكرا لك. أعتقد أنه أحس بالتعب.

ولكن ليس هناك مجال لأن تذهب مع بيدرو. فمن الواضح أن جدها أخذ السيارة وهناك مسافة طويلة لتسير معه. وأى شئ قد يحدث فى طريق العودة.

وابتسمت المرأة المسنة وقالت:

البعض منا لم يعد صغيراً يا عزيزتى.. والعمر قد تقدم أخيرا للسنيور براوننغ.. ونحن سعداء لرؤيتك، مع أنك تحديت رجالنا فى لعبتهم الخاصة. ومنذ أن أتيت هنا، تحسنت صحة السنيور براوننغ، وبدا شابا أكثر، ومن الجيد أن يكون حول الإنسان عائلته، صحيح؟

ووافقت لوسى، وهى تشعر بالذنب، فقد كانت لتوها

تحاول أن تقرر السفر، ولم تأخذ رغبات جدها بعين الأعتبار..

ونظرت إلى النار.. كان الرجال يرقصون لوحدهم.. وللحظات اجتذب منظرهم الرائع نظرها.. وذهبت المرأة العجوز..

ووقفت لوسى لوحدها عند طرف نور النار، ورجل تجده جذابا..

رجل تعرف إنه قاسى الفؤاد تماما.. وقف بدوره يراقبها باهتمام زاد كثيرا من مخاوفها.

وهربت.. وأخذت تركض نحو الممر الرملى الضيق الذى يصل بين الخليج والميناء... وهربت.

أنوى الزواج منك

لم تبتعد لوسى كثيرا حتى لحق بها بيدرو. وأمسك بذراعها وأدارها، فحاولت أن تتجاهل تسارع دقاق قلبها وهو يصيح بها.

ماذا تظنين نفسك فاعلة؟

عائدة إلى الفيلا، فجدى وبرنارد عادا منذ فترة قصيرة.

أعرف هذا. وعرضت أن أرافقك كى يتمكنا من العودة. فجدك تعب وصديقك بدا ضجرا من كل هذا.

ولهذا أنا عائدة.

وهل أنت عائدة لوحدك؟ لقد أمضيت كل الصباح تجذبين الأنظار إليك، وفى المساء رقصت أمام العديد من

عيون الذكور المعجبة، وأنت الآن تتجولين وحيدة فى الظلام؟ إما أنت مخبولة أو أنك لا زلت ساذجة جدا!

أنا لست أى من الإثنين.. أنا فقط ذاهبة إلى المنزل.. وأنا قادرة تماما على شق طريقى إلى هناك بنفسى فشكرا لك.

وأنت قادرة تماما أن تجعلى نفسك عرضة للهجوم!

ماذا.. هنا.. على هذه الجزيرة.. وبوجود كل هؤلاء الرجال الشرفاء؟

ليسوا كلهم شرفاء.. وخاصة إذا أثيروا.

لست بحاجة لا للحماية ولا للأهانة. لقد أفسدت على الآن يوماً رائعاً. فشكرا كثيرا لك!.. اوه..

وأطلقت الصيحة بعد أن أصاب قدمها شئ، فسارع بيدرو إليها:

ماذا فعلت؟ أين حذائك؟

لست أدرى.. ربما تركته فى سيارة جدى.

وربما سترتديه فتاة لا قدرة لها على شراء حذاء فى الغد!

اوه.. توقف عن النباح غفى وجهى.. فلست بحاجة إليك لتوجيه التأنيب لى.

وجلست على الرمال، وفتلت قدمها لترى ما الذى آلمها، فقال لها بحدة:

ومن غيرى قادر؟

وكانت النار والأحتفال قد ابتعدا عنهما.. والقمر قد تصاعد، وأخذت تتفحص قدمها غير قادرة أن ترى ما الذى آلمها.

تعالى هنا! أنت مثيرة للغضب، أتعلمين هذا؟ كبرك فى السن ما زاد عليك سوى هذا. وأنت الآن تغضبين.

وأمسك بكاحلها ورفع قدمها إلى ركبته، وأخذت عيناه تبحثان فى جلدها، وأصابعه تتفحص، لمساته ناعمة على الرغم من كلامه الخشن. ثم تمتم:

إنها قطعة من صدف، حادة كالزجاج.

ربما على أن أتعلم ارتداء الحذاء.. هل الجرح ينزف؟

وتألمت وهو ينزع الصدفة المكسورة من قدمها. وقال:

لا أظن أنها ستنزف.. هل تخافين من الدم؟

عندما يكون دمى فقط. أنها لا تزال تؤلمنى.

بالطبع ستؤلمك! أنا لست بساحر. ولو كنت أعلم بنواياك لكنت أمرت أن يكنس الرمل أمامك.

أستطيع تدبير نفسى دون سخريتك ودونك. ولماذا أنت غاضب هكذا؟

ربما تعبت من محاولة فهم ما بيننا. وربما تعبت من محاولة اكتشاف أية لعبة من المفترض أن تكونى تلعبينها. فهذا أمر صعب عندما يكون المرء لا يعرف قوانين اللعبة.

وبدا غاضبا أكثر من أى وقت مضى. وتحركت لوسى إلى الوراء فوق الرمال الناعمة... وقالت:

لست أدرى ما تعنى.

وحتى لو فهمت ما يعنيه، فقوانينها تختلف عن قوانينه.

ألا تدرين؟ أنت لست الفتاة المستقيمة التى أعرفها. أحيانا أرى فيك تلك الفتاة، ولكن قبل أن تطفوا، تقوم هذه اللوسى الجديدة بطمسها ثانية. وكم أتمنى أن

أراها.. أتمنى أن أرى الفتاة التى ضاعت منى.

تلك الفتاة ماتت منذ زمن طويل يا سيدى. أما أنا فكبرت... ويبدو أننا كنا هنا من قبل. فهذا الحديث مألوف لدى بشكل غريب. ربما من علينا من قبل؟

وربما أنت مختبئة فيه يا لوسى. وربما على أن أحاول إخراجك منه؟

سأعود الآن إلى الفيلا.

ولكنه لم يترك قدمها بل أخذ يمرر أصابعه عليها:

وهل بإمكانك السير؟ أم أحملك؟

لا... لن تحملنى!

وأحست بالخوف، وأحس بخوفها وأصبحت لمسته ناعمة أكثر:

لقد حملتك من قبل وكنت يومها حلوة.. لقد حملتك إلى فراشى.. ولففت ذراعيك حولى ورفضت الأفتراق عنى.. أتذكرين يا لوسى؟

لست أذكر. ولقد قلت لك ما كان يعنى ذلك لى. لقد

كان مجرد محاولة تعرف على الحياة.

لا أعتقد هذا يا لوسى.. وكلى إيمان أننى الوحيد الذى عرفتيه.

كم أنت واثق من نفسك!.. لقد نسيتك تماماً.

على إذن أن أنشط ذاركرتك.. وأظن أننى قد بدأت أفهم لعبتك.

وحاولت المقاومة ليتركها.

أيمكن أن نذهب الآن؟

ليس بعد يا لوسى. لم أذكرك بشئ بعد.

وتحرك بسرعة قبل أن تلاحظ، وأصبحت بين ذراعيه.. عيناها واسعتان مرتبكتان على وجهه، وهو يلقيها فوق الرمال الدافئة. وأخذ يمرر أصابعه فوق رموشها الطويلة:

لقد رغبت فى فعل هذه منذ كنت صغيرة.. فعيناك ورموشك تذهلنى بجمالها، وكنت أتوق للمسها لأعرف ما إذا كانت حقيقة وبهذه الكثافة والجمال...

وتمتمت:

على أن أذهب.

لوسى!

وأدارت يده القوية وجهها نحوه مع أن جسدها كان يبتعد عنه.

أنت لم تقولى أنك تريدين الذهاب.. فهل أخيفك؟

أنا أريد الذهاب!

لماذا أخيفك؟ لم تكونى أبدا خائفة منى حتى عندما كنت فى التاسعة عشرة.

كنت طفلة، كما تستمر فى القول، والأطفال يفعلون مثل هذه الأشياء ولهذا يحذرونهم دائما بأن لا يثقوا بالغرباء.

ولكننا لم نكن غرباء. كنا نعرف بعضنا.. كما نحن الآن.

وانحنى فوقها يقبلها:

أنت تثيرين البهجة فى نفسى، وقد عادت دافئة بين ذراعى، كما أذكرك تماماً. أنت كافروديت دافئة ومثيرة، ولم تتغير بل أصبحت أكثر نضوجاً. فتوقفى عن الأختباء عنى.. فنحن مهمان فى حياة بعضنا.

بيدرو! أرجوك .. لا.. !

أنت لي! وتعلمين هذا.

وأحست بالواقعية تهرب منها، أنها هنا فوق الرمال الدافئة، والبحر يتمتم من حولها بلطف، وضوء القمر يقوى عند كل لحظة.. والأمر خطير. وقساوة هجره لها لا زالت تأسر قلبها، ولكن بمرور كل يوم كانت قبضة الألم تتلاشى، وصاحت به:

بيدرو!

فتجاهلها ورفعها عن الرمال إلى ذراعيه، وأمسكت يده برأسها وقال هامساً:

تعالي إلي.. فأنت لست على وشك التعرض للوحشية!

رقته كانت تسلبها إرادتها وأحست أنها تعتمد بالكامل عليه. وأن مشاعرها طوع أوامره. أنها الرغبة من جديد، وعقلها يعرف هذا، ولكن لم يعدله سيطرة على الأطلاق. وصاحت دون وعي وكأنها آخر فرصة لتستعيد سيطرتها على نفسها:

توقف! أرجوك توقف!

وحاولت يداها أن تدفعا أصابعه بعيداً عن جسدها، ولكن يداها كانت ضعيفتان أكثر من أن تفعلا شيئاً. وانطلقت منه ضحكة منخفضة، سوداء بظلمة الليل.

سأتوقف بالطبع! فأنا أعلم أنك سوف تقومينى.. مع أنك ما عدت تملكين طهارة تدافعين عنها.

طهارتى لم تمنعك من إغوائى قبلاً. ولا منعتك من المحاولة من جديد!

تلك الذكرى جلبت الدموع تتدفق من عينيها إضافة إلى صدمة المعرفة بأنها لا زالت ترغب به. فهى لم ترغب فى أحد منذ ذلك الوقت. فى الماضى كانت مجرد كلمات، ولكن مع وجود بيدرو بقربها، فهمت ما تعنيه تلك الكلمات. وفهمت أيضا لماذا ترمى النساء أنفسهن عليه.. وها قد عاد من جديد ليؤلمها. وأدار لها وجهها نحوه بحدة ليقول بصفاقة:

أنت تريدينى أن أغويك.. ولكننى لن أفعل، مهما كنت ترغبين.

فأدارت وجهها عنه وقد غمرها الخجل.

لا أرغب بك أبداً! ولا اريدك! ولكنك أقوى منى جسدياً، وهذا كل شئ. ومن الأسهل أن أستسلم.

وهل أفـهم من هذا أنك كنت سـتـسـتـسلمين بنفس السـهولة لو أنك قابلت أى رجل راغب بك فوق هذه الرمال المهـجـورة؟ وأنت، من حـاربت جـهـدك لكسب سـبـاق كنت أنوى أن أخسره؟

هذه الملاحظة أعادتها للحياة. ونظرت إليه بحقد:

أيها ال..!

وكان يضحك عليها، ليس على بؤسها بل على غضبها.

أرأيت.؟ الآن أعرف كل مـقاييس لعبتك... وسـألعـبـهـا أفـضل منك، ومن الخـيـر لك أن تتـخلى عنهـا. هيـا الآن.. سأوصلك إلى المنزل.

ووقف ثم جذبها لتقف. وتمتم..

أنت إمرأة يا لوسى.. لقد كبرت... وهذا يسـتـحق كل هذا الأنتظار.

وهما يصعدان درجات السلم من الناحية الأخرى للميناء قال لها:

ستذهبين معنا إلى الغطس.

بل أنوى السفر. بعد الغد.

أهربى.. وسألحق بك. فكله سواء لدى. فلدى مال يكفينى لألحق بك حول العالم.

لا تكن سخيفا. أنا لا أهرب.. ولن أهتم بالهروب.. فالأثارة تبقى طالما هى مستمرة. وأنا فنانة وسأبقى هكذا.. وأى أفكار غريبة بإمكانك الأحتفاظ بها.

ونظرت إلى الماء حيث رسم القمر طريقاً مضيئاً، فأشارت إليه:

بإمكانى السير على هذا الممر الفضى، وأصعد إلى السماء، وأفعل ما أريد. أنا أعيش لفنى ولا شئ غيره.

بإمكانك الأرتفاع عن الأرض، وبإمكانك الطيران إلى القمر، ولكنك ستبقين مرتبطة بخيط قوى، أقوى من فنك مهما بلغت من شهرة.. فأنا أنوى الزواج منك!

فجمدت مكانها، وأخذت الأفكار تتسابق فى دماغها. تتصادم مع بعضها.

أتظن أننى سأرمى نفسى عليك لأجل هذا بعد أن .. بعد.. أنك مجنون!

إذا كان يسعدك أن تظنى هكذا.. تقولين أنك تعرفين مستقبلك؟ وأنا كذلك أعرف مستقبلك. وأنت ملائمة تماما له، يمكن أن يكون لك مستقبل فى عالم الأزياء، وأعلم أن لك مهارة وموهبة.. ولكن مستقبلك أكثر من هذا، وأغنى.. ستكونين الحافية الحامل بين ذراعى، وهذا مكتوب لك فى حياتك، وسأسعى جهدى لأحقق المكتوب.

واستدارت على عقبيها وأسرعت نحو البحر ثانية. وركضت داخل الماء، ثم التفتت لتجده بقربها وأمسكها ضاحكاً.

أنت أكثر غبيه تثير بهجتى. تنورتك مليئة بالماء... وأنا غائص حتى ركبتى. ألم يبدر إلى ذهنك أن جدك قد يطلب تفسيراً لهذا؟

سأقول له أنك جننت وأننى هربت منك!

هل ستكذبين؟

أنا أعرفك تماما وأعرف ماذا تريد.. فلم أولد بالأمس!

وماذا أريد.؟ لو أردتك لأصبحت لى كما حدث من قبل.

وماذا ستقول إليان حول هذا؟

وأنزلها بيدرو على قدميها فى الماء وقد تغيرت تعابير وجهه

أفضل أن أظن أنك لا تعرفين عمق هذه الأهانة.. إليان هى زوجة ابن خالى! وكانت هنا لأنها مريضة. ولقد شرحت هذا لك!

وهل تخبئ خواتم زواجها فى الرمال إلى أن تعود إلى منزلها؟ كم هذا أمر ملائم!

إذن.. أنت عرفين عمق إهانتك؟.. السلالم التى تصل إلى الفيلا هى هناك.. ولا أظن أنك ستصابين بأذى.. لا شئ لا يستطيع لسانك اللاذع التعاطى معه.. وداعاً لوسى !

مر اليوم التالى ضجراً. خاصة وأن برنارد غادر بطائرة الهليوكوبتر إلى ميامى.. وأقبل جدها إليها وهى تقرأ كتابا بعد الظهر وقال لها:

لقد اتصل بى بيدرو.. يريد القدوم لتناول العشاء معنا.

وهل دعا نفسه؟

نحن نمضى وقتاً طويلاً معاً، ولا تنسى أننا سنبدأ الغطس فى نهاية الأسبوع.. وأتوقع أن نبحث بعض الخطط.

اوه.. إذن سترغبان فى أن تكونا لوحدكما.. سأتناول الطعام فى غرفتى.

لن تفعلى هذا! لقد دعانا إلى منزله مرتين، وستكونين الليلة المضيفة هنا.. لست أدرى ما دهاك يا لوسى.

كانت تعلم ما دهاها.. لقد عادت للاهتمام بيدرو كما كانت فى سن التاسعة عشر... ما من فائدة، على الرغم من كلماته النارية ليلة أمس.

وكانت وجبة عشاء مكبوتة، ومن الوضح أنها حيرت جدها. وأحست هى بأنها ترتجف، وكان بيدرو متحفظاً. وبقى الأمر كذلك إلى أن انتهت الوجبة وتحركوا إلى الشرفة ليتناولوا القهوه، عندها قال جدها وهو ينظر بحزم إلى بيدرو:

حسناً! هل لنا أن نضع بضع خطط للغطس الآن؟

بالطبع.

وانتظراه أن يتــحــرك، وبدا كل شئ مــثــقــلاً بأدب مصطنع. وكلماته التى تلت جعلتها تنسى أى شئ آخر.

أنا عادة، لا أحلم بأن أدعو نفسى إلى منزلك، مع أننى أعلم أنك ترحب بى فى أى وقت.. ونحن بحـــاجـــة لأن نتناقش أمــور الغطس، ولكن هذا ليس السـبب لزيارتى لك... بما أنك رأس الأسرة، أتيت لأقول لك أننى أرغب فى الزواج من لوسى.

وهبطت لوسى على حين غرة فوق المقعد، فى الواقع ساقاها انهارتا تماماً. وأحست أنها فى نوع من الأحلام المستحيلة عندما شاهدت إبتسامة جدها وهو يصفق يده بيد بيدرو مصافحاً ثم يلتفت إليها:

كم أنا مــســرور! مــســرور! لوسى.. لم يكن لدى أية فكرة! أنها مفاجئة... ولن أكون أكثر سعادة.

وأخذت تنقل نظرها غير مصدقة من أحدهما إلى الآخر.

جدى... أنا..أنا..

ودق جرس التلفون وخرج جدها من الغرفة ليرد وهو يقول:

دقيقة واحدة! دقيقة فقط!

وقفزت واقفة. ثم استدارت إلى ذلك البارد لا يحتمل:

هل فقدت عقلك؟ كيف تجرؤ على فعل هذا؟ هل هذا نوع من الثأر لأهانتى لك ليلة أمس؟ أعرفك أكثر من أن أصدق كلامك.

وعندما يكتشف جدى أنك تكذب سيدمره هذا. إنه يحبك!

بل أكثر من هذا! إنه أعز صديق لى. وأنا لا أكذب. فمن الطبيعى فى بلادى أن يطلب الأذن من كبير العائلة، وهذا ما فعلت. وليس من الضرورى. عادة أن تخبر الزوجة المستقبلية أولاً. على كل، فى مثل حالتنا، الأمر يختلف. فأنا أملك. ومع ذلك فقد أخبرتك عن نواياى ليلة أمس.

أخبرتنى؟

بالطبع.. ولا يمكن أن تنسى. ولو أن والدى حى لكان بحث الأمر بنفسه مع جدك... ولكن بما أننى رأس

أسرتى، فأنا مضطر للقيام بهذا الترتيب بنفسى.

لا أحـد يرتب لى شـيـئـاً! ولست أنوى الزواج منك... وإذا كنت سأتزوج.. فمن أجل الحب.. وأنا لا أحبك!

لا أذكـر أننى طلبت منك أن تحـبـينى، ولا أدعى أننى أحبك. فـأنت المرأة التر أرغب أن أتزوجهـا، أنت كل شئ أرغب فيه، واعلم أنك قادرة على تحقيق أحـلامى... فقد فعلت هذا من قبل.

وأنت أنثى رقيقة، طفلة طبيعية وذكية. وستكونين زوجة مناسبة. ومن الجيد أننى مولع بك، وأشعر بحاجتى لحمايتك.

وأنا أشعـر بحاجتى لأن أقـتلك على الفور! أنا أعبد جدى حباً. وعندما سنخبره أن هذا كله مزحه كبيرة، سينهار.

ولكننا لن نقول له هذا .. فـأنا أرغب الزواج منك.. وهنا تنتهى المشكلة. لقد عبر جدك عن سروره ولكنك ترى أننى غير مسروره.

فقال لها بغضب:

حاولى التصرف كأمرأة. الأمر طبيعى.. والأمر الوحيد

المختلف أننى سبق وكنت أحبك. ولا حاجة لجدك أن يعرف. وستكونين حرة فى متابعة عملك. فأنا ثرى بما يكفى لأن أكفل لك شهرتك حتى خارج حدود بلدك. وستعيشين برفاهية وفخامة وتلدين لى الأبناء.

وارتفعت يداها إلى شعرها، وأحست برغبة فى اقتلاعه من جذوره فلا شئ على الأطلاق يخترقه ليصل إلى دماغها. فهذا الرجل الثرى الذكى المثقف.. يتصرف كأبسط ساذج فى هذه المنطقة من العالم!

وعاد جدها قبل أن ترد، وهو يبدو أصغر من سنه بعشر سنين، وقال:

إنها أمك. كم هذا ملائم.. لقد تمكنت أن أخبرها فورا عن قرب زواجك من بيدرو. وقلت لها أننى سأخبرها بالتفاصيل فيما بعد. فهل تعرفين ماذا قالت يا دجاجتى؟ لقد قالت (ولكن لوسى دائماً تكون ملطخة بألوان الرسم!) وهذا الأمر الوحيد الذى تبادر إلى ذهنها الغليظ.. ولا شك أنها ستتصل ثانية عندما تستعيد رشدها، وهذا أمر قليل الحدوث.

وأرعبها أنه قد بدأ بالفعل بنشر الخبر. وبدا سعيداً بهذا..

جدى!

أرجوك أن لا تبدأى بالقلق. سأحتاج لقليل من الوقت لا تذوق طعم الفرحة. فأنا وبيدرو أصدقاء مقربين. وأنت كنت وستبقين المفضلة لدى. ومن أقصى ما سأشعر به من سعادة هو أن أفكر بك تسكنين ذلك المنزل فوق الجبل لما تبقى من حياتك.

وتمتمت لوسى بحزن (جدى!) فتدخل بيدرو ليضع حداً للنقاش ولوجوده معهما:

سأتركما الآن. فالكثير من الأثارة سيبقيكما مستيقظان طوال الليل. وغداً سنلتقى ونناقش أمور الغطس.. وستذهب لوسى بالطبع معنا. وبعد انتهاء فترة الغطس سندبر أمر موعد الزفاف.

وأمسك بذراعها:

تعالى.. أوصلينى إلى السيارة، وبعدها إذهبى إلى النوم... فأى نقاش سنتابعه فى الغد.

وصعد بيدرو إلى سيارته بعد أن قبلها بسرعة، وغادر دون أن ينظر إلى خلفه وأحست أنها رهينه لمستقبل جدها ومع ذلك فمن غير المجدى أن تتظاهر أنها لا تريده. ولكن لا تزال لديها الرغبة فى أن تجد أعذارا لعدم القبول بهذا الزواج.

وتمتمت بكلمات غامضة لجدها وصعدت فوراً إلى غرفتها ووجهها يحترق من الغضب. وتقبل جدها هذا بابتسامة، وكأنما الأمر إحمرار وجه فتاة ساذجة طلبها رجل ثرى وسيم.. وهذا أمر رجعى وخيالى.. ولكنه يناسب جدها!

فخ العنبكوت

بعد بضعة أيام كانت لوسى تجلس فوق السفينة (سى وايف) تدفن نفسها فى العمل. وكان خوف هائل ينمو داخلها حتى أن رغبتها فى العمل أخذت تتلاشى. وهذا ما جعلها أكثر غضبا من بيدرو.. فقد أقحم نفسه فى حياتها المستقرة. وكان وجهه يبرز أمامها فى أى مشهد تراه أمامها.

كانت والدتها قد عاودت الأتصال فى اليوم التالى.. فمن الواضح أنها أمضت الليل كله تفكر حتى استوعبت أن ابنتها ستتزوج من غريب لاتينى ثرى من حضارة مختلفة. ولو تحدثت إلى والدتها فعليها أن تعترف، ولو أعترفت سيسمعها جدها وهى لم تفكر بعد بطريقه للخلاص من فخ العنكبوت الذى نسجه بيدرو حولها.

وراقبت جدها قرب الهاتف يستمع بسعادة مبتسماً:
كيف سيبدو يا ترى عندما ستقول له أن الأمر كله محض خيال مجنون من بيدرو؟ وقال لها جدها بعد أن أنهى المكالمة مع والدتها:

إميلى قادمة إلى هنا لتأخذك معها. فهى ترفض فكرة زواجك بغريب. ولكن هذا مستحيل! سنكون فى البحر نغطس. ألم تسمعينى أقول لها هذا؟

أجل.. ولكننى لم أعتقد أنك تعنينى أيضاً.

بالطبع كنت أعنيك. لقد قال بيدرو هذا ليلة أمس. أليس كذلك؟

هاقد بدأ الأمر.. وهذه هى الطريقه التى سيحكم فيها بيدرو حياتها.. ولكن لماذا تفكر هكذا؟ أنها لا تنوى أبداً الزواج منه! وتابع جدها:

أعتقد أن إميلى تخاف على مستقبلك.. أنها تظن أن أهل منطقة الكاريبى لا يزالون يعيشون فى العصور الوسطى، ولديها مخاوف من إضطرارك للسير وراء زوجك عارية القدمين، ولكنها لم تقل أن حبلاً سيكون فى

رقبتك، ولكن هذا كان واضحا من كلامها. وستلدين قبيلة من الأطفال بينما هو يتمتع مع (الجوارى) كما أسمتهن.. وأنا أشعر بالأسى عليك يا دجاجتى!

وانفجر بالضحك.. (حافية) وتلدين (الأطفال) كلمات أعادت إلى ذهنها كلمات بيدرو حول المستقبل. وهو كذلك لم يذكر الحبل.. ولكن ما من شك إنه قد حضره. وأمها أذكى مما تظن.

وكانت لا تزال تشعر نفس المشاعر وهى تجلس على سطح السفينة.. ومنذ صعدت إلى متنها، تجنبت لقاء بيدرو قدر استطاعتها. ولكنه لم يكن مسروراً من تصرفاتها المتحفظة تجاهه. وخاصة أنها اتفقت تماما مع الرجلين الآخرين اللذين يغطسا مع جدها.. أحدهما أميركى والآخر بلجيكى، وكان كلاهما مستغرق فى عمله ولكن الأميركى كان دائم المزاح والضحك معها. وقال الأميركى وهو يستند إلى سياج السفينة:

أتدركين كم أنت جميلة؟

بكل تأكيد..

فضحك وتقدم منها:

قيل لى أن الأميركيات من أصل أنكليزى متحفظات عادة ومتواضعات.

ولكنك سألتنى سؤالاً مباشراً، وأجبتك برد مباشر، فهل كنت تتوقع أن أخجل ويحمر وجهى؟

من زاوية عينها شاهدت بيدرو يتسلق السلم من البحر إلى السطح. وتجهم وجهه عندما شاهد مايك كالندر يتحدث معها.. فخلع ببطء قارورة الهواء عن كتفيه، ثم تقدم ليقف تحت الدوش ليغسل الماء المالح عن جسده.

وتوقعت أن يتقدم منها ليسمعها كلاماً جارحاً. ولكنه اتجه نحو جدها الذى كان يجلس إلى طاولة طويلة عليها آخر ما وجدوه فى عمق البحر. وأحست بنوع من الخيبة لأنه لم يعرها التفاتاً. وأحست بالخجل عندما سمعت مايك يقول:

أترغبين فى قليل من القهوة؟

أجل أرجوك..

إبقى هنا.. سأجئ بالقهوة إليك.. أنت هنا بعيدة عن الجميع.. وبإمكانى الإستفادة من هذا فى صحبتك لوحدنا.

فى العادة، مثل هذا الغزل كان يسعدها، ولكنها وجدت نفسها تجبر الابتسامة على الظهور على فمها... فما الذى عليها أن تفعل لتثبت للرجال أنها لا تريدهم؟

هذه قهوتك!

واستدارت لتجد أن مايك لم يكن هو المتكلم، بل بيدرو.

إذا كنت تريدين شيئاً، فهناك خادم كفؤ، وليس من الضرورة أن تزعجى مايك، مع إنه يبدو خادماً مطيعاً.

بما أن حمل فنجان قهوة كان يبدو بوضوح لا يناسب كرامتك.. فقد كان من الأفضل السماح لمايك بأن يوصله إلى!

أنت ستتزوجينى! ولن أسمح لأى رجل أن يتقرب منك!

يتقرب منى؟ وهل جلب فنجان قهوة لى يعد غزلاً؟ أمى على حق! لم أكن أدرى أن لها مثل هذه المعرفة الواسعة..

أنها تؤمن بأنك ستكون مستبداً. ولقد توضح لى أنها تعرف تماماً عما تتكلم!

لقد سمعت تعليقاتها من جدك. وما من شك أن رأيها سيتغير بعد أن نتزوج.

ولكننا لن نتزوج.. فحال أن أصل إلى التفكير بعذر جيد لجدى سأسافر.

أنت لا ترغبين فى السفر يا لوسى.. فأنت تريدينى كما أريدك.. ولو استمريت فى هذا التصرف السخيف، فسأضطر إلى تقرير مصيرك بشكل حاسم على الرغم من تصميمى على التصرف بشكل متمدن.

لست أخاف منك أو من أى شخص آخر!

واستند بيدرو على سياج السفينة وابتسامته تزداد اتساعاً:

أنت خائفة من نفسك. أنت خائفة أن تقولى لى نعم. ولكن هذا لا يهم.. لقد تعاملت مع إعلان الزواج، وسأتعامل مع أى شئ آخر. لقد قلت لى نعم فى الماضى.. وستقولينها ثانية.

أنت صديق لجدى.. وذكى مثقف، وواع. وأنت تعرف أنك لا تستطيع فعل هذا معى.

وماذا أفعل معك؟ هل أزعجك برغباتي؟ هل أتحرش بك؟ أنت هنا تفعلين ما تشائين. وأنا أتابع غطسي وكأنك غير موجودة. وجدك يرعاك، إنه كبير عائلتك، فبماذا أزعجتك؟

أنت تعلم تماماً كيف تزعجني! فأنت مستمر في الأدعاء بأننا سنتزوج وأنت تعلم جيداً أنني لن أتزوجك.

إنه ليس إدعاء.. سنتزوج بأسرع وقت ممكن.. ألم أقل لك أنني مشتاق إليك؟.. أظن أن مايك المعجب لن يزعجك بعد الآن.

وتحرك ليبتعد، فصاحت به:

ماذا تعني؟ ماذا قلت له؟

لقد أعلمته فقط أنك ستكوني زوجتي. ولا أظن أن سينسى هذا الواقع. ولكان الأمر ألطف لو أخبرته أنت بنفسك.

وحدق بها بنظرة تأنيب وهو يبتعد عنها، واعتلى وجهها التجهم. ولحقت عيناها به بإرادتهما، وأحست بأن الحرارة قد عادت إلى التصاعد إلى خديها من جديد.. إنها فعلا تريده.. وأخافتها الفكرة أكثر من أي شئ آخر.

وجافاها النوم تلك الليلة. وأخذت تتجول فى كابينتها وتفكيرها يدور مرات ومرات حول معرفتها الصارخة للواقع. حياتها كلها مبنية على أساس عملها، ولكن بيدرو يدمر كل شئ. كما دمر حياتها منذ زمن، عندما أحبته ثم خسرته، ولم يكن أمامها من تخبره عن عذابها، ما عدا أن تستمع لحزنها الصامت.

وبقيت فى فراشها عند الصباح، ولم يزعجها أحد. وعندما خرجت أخيراً لتناول الفطار قال لها الخادم أن الجميع قد ذهب للغطس وكان جدها مستغرق فى تنظيف القطع الثمينة التى استخرجت من البحر. فخرجت إلى السطح وأحست على الفور بحرارة الشمس.. اليوم ستأخذ حمام شمس مع أنها لا تحب إرتداء البكينى على السفينة، فقد كانت تحس أنها فى فخ.

وصاح الفونس ريبون، الغطاس البلجيكى، بارتياح عندما ظهر مايك بعد طول انتظار من عمق البحر.

وسأله:

أين بيدرو؟

ألم يصعد بعد؟ كنت أتوقع أن أجده هنا.. لقد مضى وقت لم أشاهده فيه. وظننت أننى أطلت الغطس لوحدى.

إنه مكان عميق للغطس، وبيدرو محترف. ويعرف كم يجب أن يبقى تحت.. كان عليه أن يكون هنا.

عندما أحست بالقلق لتأخر بيدرو، استطاعت أن تكبح مخاوفها، ولكن الأسوأ هو أن تشارك هذه المخاوف مع الآخرين.

وهل كان هناك أناس آخرون؟

صوتها القلق اجتذب انتباه جدها، فسأل بهدوء:

مثل من؟

حسنا.. لصوص.. أو أى أحد...

فهز جدها رأسه:

ما من مجال.. فليس هناك سفينة قريبة. على كل وجود قوارب سلاح البحرية لابد أبعد اللصوص عن هذا المكان.

فقالت لوسى بسرعة:

ولكن ليس هناك قوارب لسلاح البحرية الآن... وربما لم نستطع أن نراهم.. ربما معهم غواصة؟...

وقال جدها بهدوء ليبعد مخاوفها:

لوسى.. لا تكونى سخيفة هكذا. ليس من عادتك الخوف. هذا صحيح.. ولكن بيدرو لا يزال فى عمق الماء.. وأصبحت ضحية لتخيلاتها.. وتخيلته تحت رحمة عدو مجهول، ومعدات الغطس نزعت منه... أو ربما كان يغرق.. أو غرق بالفعل! وقال الفونس بهدوء:

على كل.. يجب أن يظهر الآن. فهو ليس غبياً ويعرف كل المخاطر.

سأجد هذا بنفسى!

وكانت فى منتصف طريقها إلى الماء قبل أن يفهم أحد ما تنويه. حتى هى نفسها لم تفهمها.. بل فهمت شيئا واحدا: لم يعد باستطاعتها الأنتظار أكثر عودة بيدرو... لو إنه غرق...!

وبدا أن الجميع صرخ بصوت واحد:

لوسى!

ولكنها غاصت فى المياه قبل أن يتحرك أحد. وصور مختلفة لبيدرو تبرق فى مخيلتها.

وضرب جسد المساء غير بعيد عنها، فغطست أكثر. لو أن مايك سيحاول إرجاعها فلن تفعل! وبدا شبح أسود بقربها وأمسكت يدان قويتان بها وهى تقاوم للتخلص، ورئتاها تكادا تنفجران طلباً للهواء. واندس خرطوم للتنفس فى فمها، وشاهدت عينا بيدرو السوداء تنظر إليها عبر القناع الزجاجى وهو يركل الماء ليصعد ويجذبها معه.

وبدت المسافة بعيده إلى السطح.. ولم يكن لديها فكرة أنها قد غاصت إلى هذا المدى. وصعدا فوق الماء على بعد قليل من السفينة.. فأحست بحرارة الشمس ترحب بها. وبيدين آخريتين تأخذانها من بيدرو، ويجرها الفونس نحو السفينة. وعندها فقط صدمها غباء ما فعلت. كانت تستطيع السباحة كالسمكة.. ولكنها لم تغطس من قبل. ولم يدفعها إلى الغطس سوى خوفها على بيدرو وتعلم

جيداً لماذا.

ولفها جدها بمنشفة كبيرة:

لوسى.. كنت دائماً أقول أنك متعقله، لماذا فعلت هذا؟

ووقفت ترتجف، وبيدرو يخلع معدات الغطس ليتقدم نحوها. كان غاضباً جداً. وقال:

ما نوع هذا الغباء؟

وتدخل جدها لعلمه أنها عانت ما يكفيها:

إهدأ يا بيدرو.. كانت تبحث عنك.. أنها غلطتنا.. لقد كنا نقول أنك أطلت الغطس.. ولوسى...

وأكمل مايك:

ظنتك تغرق، كما أتصور.. و لا أظن شجاعة مثل هذه يجب أن تعاقب.

وخمدت النار فى عينى بيدرو. وارتفعت يداه على وجهها:

لوسى؟

فانفجرت بالبكاء.. ولم يكن السبب هو الصدمة أو

الأجهاد، بل إدراكها ما الذى جعلها تحس بضرورة رمى نفسها وراءه فى البحر أول براعم الحب التى أحست بها وهى فى التاسعة عشرة، قد نمت لتصبح زهرة ناضجة شرسة لحب إمرأة لرجل.. ولا فارق فيما تعرفه عنه.. وهربت إلى كابينتها...

وكانت لا تزال تجلس ساهمة عندما دخل عليها بيدرو. ورفعتها ذراعاه، والتفتا حولها، لتضماها إليه لدقائق دون أن يتكلم.. ثم قال:

هل خفت على يا حبيبتى؟

وارتفعت يده إلى وجهها وعيناه تقرئان ما يجول فى ذهنها، وتابع:

لقد كنت بأمان تماماً.. ولكننى أطلت الغطس لأفتش أكثر. ولم أدرك أنك ستقلقى، سامحينى لوسى... لن أؤلمك أبداً.

بل ستؤلمنى.. فقد فعلت هذا من قبل!

ومدت يداها إليه تضمه بشغف.. وفى هذه اللحظات لم تعد تهتم بما سيفكره بها أو بما ستفعل... إنها فقط

تريد أن تطمئن نفسها إنه لا يزال حيا. فقال لها هامسا:

وهل أؤلمك الآن؟ ألا زلت أخيفك برغباتي؟ ألهذا تتعلقين بي هكذا؟ أنت إمرأتي! هل ستنكرين هذا مرة أخرى؟ نحن لبعضنا.. ونحن رائعان مع بعضنا. ارتدي ملابسك وسنعود إلى الجزيرة لنتغذى هناك.

و.. ماذا.. سيظنون بنا؟

ونسيت أنها لا تزال في ملابس البحر فاحمر وجهها، فقال لها:

سيظنون أننا ذهبنا في نزهة.. ومهما يكن ظنهم سيحتفظون به لأنفسهم. لدي عمل لبضع دقائق ولن أتأخر.. سأعود لأصطحبك.

وبكل إرادته، رمى عقلها كل تفكير نحو الظلمة، ما عدا الرغبة العميقة... فقدرها قد استولى عليها الآن.. وهناك سعادة محرمة تستولي عليها.

ووصلا إلى جزيرة صغيرة غير مأهولة.. حيث تناولا الطعام الذي تم تحضيره على السفينة. بعدها قال:

أنت أردت أن تكونى معى.. وعندما رميت نفسك فى الماء كان من الواضح انك تهتمين بى لدرجة الزواج منى. وقبل هذا لم أكن متأكداً. لقد اتصلت بوالدك وأخبرته. وأتوقع أن تطلب أمك أن يكون الزفاف فى نيويورك وفى منزلكما.. وأنا راض بهذا.

ولكن.. ولكننى.. لم أوافق... وأنت تعلم أننى لن أتزوجك.

فهز رأسه وقال:

اوه لوسى.. أحيانا تكونين كالطفلة! ماذا تريدين؟ أترغبين فى أن أضربك؟ حسنا سأفعل هذا بعد الزواج.

لا أستطيع الزواج منك.. لا أستطيع!

ومد لها يده بعد أن وقف، ووقفت معه تتساءل عما سيفعل الآن.. هل سيعود إلى السفينة أم سيستكشفان الجزيرة؟

كل شئ يفعله يكون غير متوقع.. إنه لا يتصرف كالناس العاديين. وجرها خلفه بيده.. ربما يكون هذا هو الحبل؟ ربما لن يضطر أبداً إلا إلى مد يده إليها؟

وقادها عبر الأشجار، حيث وجدا نبعاً صغيراً يندفع من بين الصخور.. صوت المياه كان كالموسيقى الناعمة. وأدارها إليه:

على الشاطئ كنا على مرأى ممن على السفينة، إما هنا فلا.. والجزيرة مهجورة إلا منا أنت وأنا. وها قد أصبحنا لوحدنا. والآن أخبرينى لماذا غطست فى البحر... ستقولى لى أنك تهتمين بى لدرجة أن تخاطرى بحياتك.

أنا سابحة ماهرة، ولو أن أى أحد غيرك...

لقد خيبت أملى بكذبك. لم تكذبى أبداً فى الماضى.. ومع ذلك فأنت لست بارعة بالكذب. وأنا لا أريدك أن تقولى دائماً أنك لا تريدى الزواج منى. بل أريد أن أسمع منك أنك راغبة بى. فهل يجب أن أكتشف هذا بنفسى؟

وبدأ يتلمسها.. ببطء وإثارة أخذت تجرحها من الداخل إلى أن أصبحت أنفاسها ترتجف.. وتحركت يداه فوق كتفيها، ثم انخفضت أصابعه لتمر على وجهها وعينيها وشعرها.. ولم تعد قادرة أبدا أن تقاوم.

ولم تقم بأية محاولة لأيقافه عندما أنزل ذراعاه إلى

خصرها وجذبها إليه معانقاً، ونسيت مكان وجودهما، وتخلت عن كل تفكير بالتوقف. وعلمت أنها ستفعل أى شئ يريده بيدرو منها.

وعلم هو كذلك، ومع ذلك همس لها بشئ جعلها تجفل:

لوسى.. كم رجلاً عرفت منذ أن تركتك؟ ستكونين زوجتى لقد وعدتك بهذا.. ولكن يجب أن أعرف. ولن ألومك... لقد كنت طفلة.. ولقد أخذتك رغم إيمانى ومبادئى.. فمن أكون كى أحكم عليك؟

فهمست له:

لم يكن هناك غيرك. لا قبلك ولا بعدك. حتى أننى لم أفكر أبداً..

ولماذا؟

كانت الكلمة حادة وكأنها تعترف له بعدة علاقات.

لماذا؟... أنا لم أرغب بأحد... بعدك...

ولدقيقة كاملة أطال النظر إلى عينيها، وبدا على وشك الكلام إلا أن رغبته غمرته، وأحست بذراعيه تشتدان من

حولها، وتركت نفسها تسبح تحت سيادته عليها.

ولم يكن هو بيـدرو الذى تعـرفـه.. ليس الرجل الذى تذكـره... ذلك الرجل.. ذهب مع الحلم البـرئ.. وهذا الرجل، يطالب.. يريد، يتشوق برغبة بدائية.. متوحشة. وبدأ عقلها يتلاشى بعيداً بدوره.. يبتعد عن الواقع.. عن البحر.. عن الرمال.. عن العالم بأسره... وقال بصوت متحجرش:

هل تذكرينى الآن يا حبيبتى؟ الآن عرفت أنك عدت لى. وأنت تعرفين إلى من تنتمى.. أليس كذلك؟

أجل..

وكان ردها خفيفاً، مجرد آهة فى حنجرتها ولم تعد تستطيع أن تقاوم أو تفكر، وأظلمت الدنيا من حولها.

وقت طويل لتـعود إلى دنيـا الواقع.. ولكنهـا قـبل أن تستعيد كامل وعيها سمعت صوتاً غريباً.. صوت صفير، وارتفع رأس بيدرو، حذراً وقلقاً.. وعينيه إلى السماء.

إنها إشارة الخطر.. من السفينة.. إسرعى يا لوسى!

وركض نحو الشاطئ وما أن لحقت به حتى كان قد حمل سلة الطعام ووضعها فى المركب الصغير وارتد إليها، فقالت وهى تتمسك به.

السفينة تبدو على ما يرام.

لابد أن هناك شيئا خاطئاً، لا يستخدمون مثل هذا الصفير الحاد إلا لسبب.. هل أنت بخير؟

وسارع إلى إدارة المحرك، وكانا يطيران فوق الماء ولوسى تنظر إلى السماء الخالية من الغيوم،وإلى البحر الهادئ. ومع ذلك فقد أحست بأن هناك شئ خاطئ، حتى قبل أن يصلا إلى جانب السفينة وترى مايك بانتظارهما... وعندها فقط فكرت بجدها..

وسارع بيدرو إلى السطح وجذبها معه فصاحت:

ما الأمر؟

ونظر إليها مايك بقلق:

إنه جدك يا لوسى.. لا تعرف ما به.. إنه متألم لدرجة أنه لا يقدر على الكلام. يمكن أن تكون نوبة قلبية.

وركضت لوسى، وكان بيدرو بقربها ومعها، لتجد جدها مستلقياً على أريكة ولون وجهه مرعب، ويداه تمسكان بصدره.

لوسى!

ولكن بيدرو أمسك بيده.

لا تتكلم..! إسترح.. سآخذك إلى المستشفى خلال دقائق.

وبقيت قرب جدها، وما هى إلا دقائق بالفعل حتى سمعت هدير الهليكوبترفرفعت عيناها إلى السماء. ولف جدها بالبطانيات وحمله بيدرو إلى الطوافة بكل سهولة. وساعده الفونس فى وضعه داخلها ثم دارت المحرك لتنطلق بهم إلى ميامى ، وقال بيدرو قبل أن تنطلق الطوافة لألفونس:

عد بالسفينة إلى الشاطئ بأقصى سرعة وسأتصل بكم.

وأحست وهى تنتظر إلى جانب بيدرو فى ما يحيط بها من برودة فى جناح المستشفى بأنها ضائعة ووحيدة.. فعندما جاءت إلى جدها فى الجزيرة وهى صغيرة لم تكن

ترغب فى العودة مع أمها. فجدها لم ينتقدها قط، ولم يجبرها على فعل شئ أو عدم فعله أبداً.. كان دائما يعرف ما تريد.. وما تريده كان دائماً يناسب هواه، لذا كانا يعيشا بسلام، وتوافق.. وبنوع من النعيم. وتمتمت يائسة:

إنه عجوز! إنه فى الواحدة والسبعين!

والتفت إليها بيدرو

فى الواقع هو فى الثانية واالسبعين. ولكن هذا يجب أن لا يقلقك فجدك رجل قوى.. فحتى سنتين مضيتا كان يغطس معنا.

لم أكن أعرف هذا.

وكيف ستعرفى؟ أنت لم تأت ولا مرة.

لم أستطع.

وأحس بألمها فمد يده يمسك بيدها.

لا تعيشى فى الماضى يا لوسى.. إنه سعيد معك الآن، ولا يفكر بالأيام التى لم تأت بها إليه.

صحيح.. إنه سعيد وسيكون سعيداً أكثر لو أنها بقيت

معه، لو أنها تزوجت بيدرو.

وتصلبت عندما شاهدت الطبيب يخرج من غرفة الأسعاف... وتقدم الطبيب مباشرة إلى بيدرو:

إنها ليست نوبة قلبية، مع أنه يعانى من بعض الأضطرابات فى قلبه. ولكننا نعتقد أنه نوع من التسمم.. من الطعام كما نظن.

ولكننا جميعا تناولنا نفس الطعام، أليس كذلك؟

وخفت صوتها عندما تذكرت أنهما تناولا الطعام على الجزيرة. وقال بيدرو:

ليس تماما ولكن الباقين فعلوا. وكانوا بخير عندما تركناهم. كيف السنيور براوننغ الآن؟

إنه بخير.. ومن الأفضل تركه ليستريح ولكن من الأفضل أخذه إلى نيويورك بدل العودة إلى الجزيرة. ففى أى وقت قلبه قد..

سأراه إذن!

ووقف بيدرو.. فقالت لوسى:

وأنا كذلك.

لا.. إنه واجبى وأنا سأراه.

إنه ليس واجباً.. وسأراه.. أنت لست حفيده.

وللحظة حدق بها بعناد ، ثم هز كتفيه، واستدار إلى الطبيب مبتسماً:

عن إذنك.. سنلقى نظرة عليه، لابد أنه سيرتاح أكثر عندما يرى حفيدته، على كل لن يرتاح لها بال إذا لم تراه... إنها اسكتلندية الأصل.

ما من أحد، فى مطلق الأحوال، يجرؤ على تجاهل شخص عزيز هكذا على قلب بيدرو دى سانتانا. فكل الخدمات كانت جاهزة والمستشفى كله مستعداً وهو يدخل.. وها هى الآن سيارته الكبيرة الأنيقة تتقدم نحوهما بعد أن خرجا، بمجرد إشارة من أصبعه... وكان الظلام قد عم، ولكن مظهره كان واضحاً لها، مظهر الملك، الذى يحمل المسؤوليات الجسام، ويعرف تماماً مدى قدرته. إنه مختلف جداً عنها، وخارج كثيراً عن مدى خبرتها. فلماذا يريدها؟

هل سنعود إلى الجزيرة؟

ستعودين لوحدك.. وسأعود إلى المستشفى.. فبوجودك ربما لم يكونوا راغبين فى الكلام. وأريد معرفة المزيد عن حالة قلبه. وإذا كان من الضرورى إعادته إلى اسكتلندة فسأفعل.

وأمسكت أصابعه بخدها.. ثم تركها بكل بساطة، وتصرف وكأن شيئاً لم يكن بينهما، لا رغبة، ولا شوق.. وهو يبتعد.. بدا لها هادئاً، باردا، مكتفيا.. وكاريبى.. كاريبى جدا.

بعد العشاء، وصل بيدرو إلى السفينة (سى وايف). كان الحديث قد دار خلال الوجبة، وجلس الجميع الآن ينتظرون الأنباء.. وما أن توقفت سيارته أمام الميناء حتى سارعت لوسى لاستقباله.

كيف حاله؟

بخير حتى الآن. على كل أظن أن علينا إرسـاله إلى نيويورك بأسرع وقت ممكن.

ولم تسأل المزيد، لأن جميع من فى السفينة لم يستطع الأنتظار فسارع يسأله، وأخبرهم بيدرو عن تسمم الطعام وواقع أن قلبه غير سليم. وقال للوسى فيما بعد:

إن قلبه أكثر من متعب.. فهو يحتاج إلى عملية فى

الشريان الجانبى.. ومن الواضح أن هذه العملية يجب أن تجرى فى نيويورك ويمكن نقله فى الغد، ولكننى أفضل نقله اليوم.

وهل يحتمل السفر بالجو؟

قيل لى أنه سيكون بخير.. سأتدبر أمر وجود طائرة تنتظره طوال يوم غد.

فى تلك اللحظات أحست لوسى بالأمتنان لبيدو وثراءه وسلطته. وكانت تعلم أنه سيتصرف بنفس الطريقة حتى ولو لم تكن موجودة. ولكن عقلها كان فى دوامة،لا يزال يفتش عن سبب كى لا تحبه، دون أن يوفق إلى شئ.. إنها له.. وهكذا كانت طوال خمس سنوات، ولا سبيل للأنكار.

وقالت له وهما يجلسان على سطح السفينة بعيدا عن الجميع؛

أخبرنى لماذا...

وتلاشى صوتها.. فحثها على المضى فى السؤال، فتابعت:

لماذا اشتريت البيت الذى على التل؟ ولماذا أقنعت جدى على البيع ولماذا جعلته يغير حسابه فى البنك... ولماذا

اشتريت السفينة منه؟... أنت تحبه، فكيف تخدعه؟

إذن أنت تعرفين أننى أحبه؟ كلنا هنا نحبه يا لوسى.. إنه جزء منا، جزء من الجزيرة. ولن أسبب له الحزن ولو مقابل كل ما فى الدنيا. جدك رجل يثق بالناس، وككل رجال العلم، يعيش فى عالمه الخاص ولسنوات كان يسلبه محاسب يبدو أنه انتقاه عشوائيا دون نصيحة من أحد أو تفكير.

إنه رجل شهير، وكتبه وكنوزه التى يكتشفها معروفة فى العــالم كله ويجب أن يكون ثرياً جــداً، ولكنه ليس كذلك.. عندما أتيت إلى كاراكو وتعرفت إليه لم تكن لدى فكرة عن أمواله...

وفى حديث معه بالصدفة حول الأعمال لاحظت الأمر. فقد قال لى ذلك المحاسب: للأسف هذا العجوز هو على شفير الفقر. ومنذ ذلك الوقت اهتممت به، ثم عرفت السبب، لذا قررت أن أحول بعض ما يمتلك إلى أموال سائلة، فاشتريت منه المنزل والأرض والمركب والعديد من الأشياء التى لم يعد يستخدمها ووضعتها له فى حسابى

في البنك كذلك قدمت له خدمات محاسبي الخاص.

وماذا عن ذلك المحاسب.؟ لماذا استطاع الهرب دون أذى؟ فضحك بيدرو.

لست أفهم تعابيرك ولكنني سأتبع مجرى تفكيرك العام. المحاسب الآن في السجن. وهو هناك منذ سنتين.

لم يقل لي جدي عن هذا أبداً.. لقد سألته.. عن أشياء. ولم يقل كلمة عن هذا.

آه.. أجل.. أنت تقومين بتحرياتك الخاصة كما أتصور. ولكن جدك لا يعرف.. لقد بقي الأمر مكتوما ضمن دائرة ضيقة. فلو عرف لرفض مساعدتنا. على كل لا يجب إزعاجه بهكذا أمور. إنه (براوننغ) وهو مهم جدا لنا، وأؤكد أن كل شؤونه الآن تجري على ما يرام وبنظام. وأمواله تتزايد بمعدل جيد.. ولن يحتاج إلى تلك الأموال أو مكاسبها.. فأنا أعتني بمن أحبهم ولكنه ليس واحداً من أقاربك.

لقد أصبح الآن هكذا.. أنت لي، وطالما هو حي سيبقى تحت حمايتي.

وعندما وقف ليذهب، وجدت أنها لن تتحمل رؤيته يذهب.

لماذا لا تبقى الليلة هنا؟

صوتها كان يائساً قليلاً، ولابد أنه لاحظ ذلك، ولكن لا شئ يمكن أن يغير قراره:

لن يكون هذا من الحكمة، الأفضل أن أبقى فى ميامى لأترقب معلومات إضافية عنه.. ويمكن أن استخلص معلومات جديدة من صديقك برنارد. فقد أعرف منه الكثير عن حياتك فى السنوات الخمس الماضية.

يمكنك أن تسألنى.

لن يكون الشئ نفسه يا عزيزتى.

وهل تلمح إلى أننى قد أكذب عليك؟

واستدارت غاضبة عنه. فأدارها ليحتويها بين ذراعيه:

لا، أنا لا ألمح إلى مثل هذا.. ولكننى أستطيع التحدث إليه طوال الليل دون خطر... ولو بقيت هنا، فلن أعرف سوى ما أعرفه عنك. ولا أريد مساعدة لأعرف أننى أريدك.

وكانتا قبلته لها عذبة. واضطرت للأعتراف بحكمته..

مع قلقها على جدها. وعرفت أن بيدرو سوف يتعامل مع قلقها باحتضانها بين ذراعيه.

ففى هذه اللحظات لم تكن قادرة على التفكير بأى شئ مريح.

وكانت الطائرة حاضرة فى الصباح التالى، ومع أن جدها كان لا يزال ضعيفا إلا أن الأطباء كانوا مصممين على أن يسافر. ولم تعلم لوسى ما إذا كانوا لا يجرؤون على إبقاء مثل هذا الرجل العظيم تحت رعايتهم أم أنهم يعرفون أنه سيحصل على عملية قلب أفضل فى مستشفيات نيويورك. على كل الأحوال، أخذ بيدرو الأمور بيده، وجاء معه برنارد، وبرهن إنه قادر على التخفيف عنها وهى صفة لم تكن تعلم أنه يمتلكها.

وفى نيويورك لم يكن هناك أية عراقيل، فقد تدبر أمر نقل جدها فوراً إلى المستشفى المتخصص، وتم إستشارة الأخصائيين. طوال الرحلة، بدا بعيدا عنها، وعلمت أن هذا مرده أنه يتحمل مسؤولية نقل جدها. وهو كذلك الآن فى المستشفى، مع أن الجراحين قالوا أنهم سيفعلون

أفضل ما يمكنهم. وقال لها وهو يقودها إلى الأبواب الرئيسية للمستشفى:

إلى أن يستعيد عافيته، وتنتهى العملية يجب أن نوقف الزواج. لم تتح لى بعد فرصة لقاء ذويك.. ويجب أن أعود إلى كاراكو على الفور.

سيكونون هنا بعد ظهر اليوم.

لن أســتطيع الأنتظار.. الطائرة فى انتظارى، فى الواقع لم يكن لدى الوقت الكافى لأجئ معكم.

لماذا أزعجت نفسك؟ أنا قادرة تماما على تدبير شؤون جدى..

ربما.. ولكننى لا أستطيع تصديق هذا بدقة. ولقد تحدثت مع صديقك، وإلى أن يصل والدك سيعتنى هو بك.

وهكذا.. إنه سيتركها ويذهب.. ولم تصدق.. واستدار لتلاحظ أن وجهه ملئ بالمشاعر.. وصاحت بما كان يفكر به قلبها.

بيدرو.. أحبك!

فاستدار نحوها.. وقال بصوت أجش:

إعتنى بنفسك.

بعد شهر من هذا، وقفت لوسى على شرفة المنزل، تنظر إلى طرقات المدينة التى طالما سارت مع بيدرو عليها.. لقد تحسنت صحة جدها، ولكنه لا يزال فى المستشفى.. وعندما يسمحون له بالخروج سيعود إلى كاراكو... ولكن لوسى لن تعود معه. وطوال هذا الوقت لم تسمع كلمة من بيدرو.. وعرفت فى قلبها ما كانت تعرفه طوال الوقت... لن يكون هناك زواج. وهذه المرة انتهى ما بينهما إلى الأبد. وأى إنسان له شئ من العقل السليم ما كان سار بمحض اختياره إلى الفخ مرتين. ولكنها لا تملك العقل السليم فيما يتعلق ببيدرو. إنه يحتل أحلامها، وسيبقى هكذا.

وكانت قد انتقلت من منزلها الخاص لتعيش مع والدتها فهى لم تستطع تحمل الذكريات لوحدها.. وبالنسبة لأميلى خسران لوسى للعريس أمر لا يغتفر... ويبدو لها أن كل هذا كانت غلطة لوسى. وقالت إميلى متذمرة:

ولكننى طالما فكرت بأمر الزفاف! والناس كلهم عرفوا به!

أى ناس يا أمى؟

ونظرت الى أمها بقلق، وهى تلاحظ أنها ليست قلقة على أى شئ سوى المظاهر... مع أن مظهرها لم يقلق والدتها بالمرة... وجهها الشاحب الملئ دائما بالحزن، خسارة وزنها.. واقع أنها دائما دون نشاط أو حيوية. كل هذا لم تلاحظه أمها. بل كانت تفكر بالأصحاب والمعارف، والمنافسين فى العمل.. والتفسيرات التى ستضطرإلى تقديمها.

ولكن نظرة والدها كانت أعمق.

لابد أن السبب إمرأة أخرى يا عزيزتى؟ هل لديه

إمرأة أخرى؟

ربما أنا السبب!

لا.. لست أنت يا لوسى، أنت لم تتغيرى منذ الطفولة.. فعندما تعطى.. تعطين بعمق.

أظن أن هناك إمرأة أخرى.. لست أدرى. لقد نسانى كما فعل منذ زمن طويل.

لابد أن هناك تفسير لما جرى.

هناك سبب، ولقد قلته لك... سأنتقل لأسكن لوحدى ثانية يا أبى.. سأطلب من برنارد أن يعطينى الشقة التى فوق دار الأزياء.. إنها كاملة الديكور وفارغة.

سأساعدك.. سننقل أغراضك ونزيد من أثاث الشقة.. ولكنك ستكونين وحيدة يا لوسى.

فتنهدت:

ليس أكثر مما أنا عليه الآن.

وتحمل برنارد كل الأعباء بمفرده، حتى عندما اعترفت أنها لن تستطيع العمل قريباً.

لا يهم.. لقد فكرت أنك قد لا تكملين عملك، وهذا ما دفعنى للعمل لقد نفذت عدة تصميمات، وأظن أنها الأفضل من بين ما نفذت.

وانفجرت لوسى بالبكاء، فقد عاودتها ذكرى بيدرو.. ولم تكن قد اشتغلت فى أى شئ منذ رجوعها. كانت ترى جدها دائما، ولكنه أيضاً لم يسمع أى خبر من بيدرو.

الشئ الوحيد الجيد لانتقالها إلى الشقة هى أنها أبقتها مشغولة. وبقرب موعد العرض أخذت تجهد نفسها بالتحضيرات. والأعلان عن المعرض كان كاملا وجيدا. وفى مناسبات أخرى كان المحل يمتلئ بالزبائن. وبدت الأمور جيدة.. وكانت تنفذ المزيد من النماذج ثم تسارع لوضعها على الواجهات. وكان أمامها الكثير من العمل بالأنتظار، أكثر مما لدى برنارد..

وتدفق الناس إلى المعرض. ما يكاد يخرج من فى الداخل حتى يتدفق غيرهم. وتقدم برنارد من لوسى وهمس لها:

لقد نفذ من عندنا شراب الضيوف.

فهزت رأسها، وتوجهت نحو الشقة لتحضر المزيد. والدها ما كان يتركها لوحدها أبدا منذ أن انتقلت إلى هنا. ولكنه الليلة كان فى اجتماع هام، وبقيت هى برنارد لوحدهما يتوليان ترتيب المعرض. وعندما عادت إلى المحل كان برنارد يبحث عنها وقال متمتما:

لوسى لقد بعنا آخر قطعة من تصميماتك. لقد حضر

رجل وحدق بكل المعروضات ثم ابتاعها جميعها!

وتوقف قلبها عن الخفقان لعدة ضربات.. ثم نظرت من حولها.. لابد أنه بيدرو.

وكيف كان شكله؟

قصير وبدين، يلبس نظارات.. إنه من النوع القانونى دون شك... ولابد أن العمل بالقانون يزدهر، فلم تكن تلك الثياب رخيصة. ولقد اشترى الكل. وعلينا أن نوضبها ونرسلها فى الغد. ومن حسن الحظ إنه لم يطلبها على الفور وإلا لفرغ المكان من المعروضات.

وهل اشترى تصميماتك؟

لا.. لقد دخل ونظر من حوله ثم استدعانى وقال بخيلاء إنه يريد شراء كل تصميمات لوسى ماكدونالد. وأنا لا أشعر بالغيرة يا حبى. لقد بعت الكثير من تصميماتى، وهذا المكان سيقفل لأيام عديدة لأنه سيكون فارغاً.

وتركها برنارد مرحاً.. وأطلقت لوسى إبتسامة، بعد أن ظنت الأمل قد مات. وسرها أن أنتهى المعرض وأنصرف الجميع وأصبح الظلام شديداً فقد أقيم المعرض عند

المساء، واستمر الناس بالتدفق وودعت برنارد أخيرا، ثم أغلقت الباب من الداخل، وصعدت السلم إلى شقتها.

وكانت فى منتصف الطريق إلى الأعلى عندما دق أحدهم الباب، فاستدارت فوراً لتعود إلى المحل. لابد أن برنارد نسى شيئاً. وتمنت أن لا يكون قد عاد ليسألها إذا كانت بخير... لقد أصبح مؤخراً كالفرخة الحاضنة.

ولم تضئ الأنوار، بل نظرت بفضول عبر الزجاج، وكاد قلبها يتوقف عندما شاهدت جسم الرجل الطويل المنتظر فى الخارج. ووقفت تحدق به.. وقرع الباب ثانية، بقوة أكثر، وقال لها بخشونة:

لقد رأيتك.. وليست فكرة جيدة أن تقفى هكذا.. فإذا أصبحت عديم الصبر فقد أكسر الباب.

وتركته يدخل.. ووقفت جانبا وهو يستدير ليقفل الباب خلفه.

ماذا أتيت..؟ كيف أنت..؟

أضيئى الأنوار. بما أن الناس قد خرجوا الآن، أريد أن أنظر إلى ما اشتريته، وأنا أتمنى بصدق أن يكون المحامى قد اشتراها كلها. وإلا سأكون منزعجا جدا.

أنت.. أنت.. اشتريت كل تصميماتى؟ ذلك الرجل كان...؟

أنا اشتريتها ولدى مكان يكفى لوضعها فيه.. وخاصة تلك التى تناسب قياسك، وجدك سيسعده أن يراها.

وأخذ يتجول متفرساً، ووقفت لوسى ترتجع كورقة الشجر فى مهب الريح. لم تكن تفهم لم هو هنا. لقدكان بارداً، يتصرف وكأنهما لا يعرفان بعضهما، وهذا ما كان يؤلمها. ولم يأخذها بين ذراعيه ليشرح سبب غيابه.

بإمكانك تقريباً شراء كل شئ. الناس والأشياء على حد سواء. على كل الأحوال.. لا أريد لتصاميمى أن تكون مخبئة فى مكان واحد. وإذا أراد أحد حقاً أن يشتريها فسأضع الثمن بنفسى إذا ظننت إنه قادر على تحمل ثمنه.. إنها مصممة ليتمتع بها الناس.

بإمكانى التمتع بالتفرج عليها!

أنت تؤلمنى.

وضاقت عيناه وهو ينظر إليها.

فلنصعد إذن إلى شقتك لنتحدث. لقد قال لى والدك

أنك انتقلت للعيش هنا عندما قابلته فى الأجتماع.. نوافذ المحل واسعة ولا تغطينا عن أنظار الناس، ولا أرغب فى سماع تفسيرك للأمور وأنا واقف وسط الأضواء.

فهمست بارتباك:

ليس لدى أى تفسيرات... أية تفسيرات تقصد؟

لقد علمت من والدك أنك الغيت فكرة الزواج نهائياً. وتركت أمك فى حالة صدمة كبيرة.

وماذا.. توقعت منى أن أفعل؟ أنت.. لم تعد. ولم تقل...

وهل ظننت أننى هجرتك؟

أجل.. كما هجرتنى من قبل. لماذا عدت يا بيدرو؟ لا أريد أن أتألم مرة أخرى.

واستدارت عنه، فمد يده ليطفئ الأنوار، وقال آمرا:

سيرى أمامى!

لا أريدك داخل شقتى. ولا أريد التحدث إليك.

ومع ذلك وجدت نفسها تدفع إلى فوق، وهو يلحق بها. ورد ببرود:

يبدو لى أننى أمضيت وقتاً طويلاً أفكر بما تريدين ومـالا تريدين ولقد آن الوقت لأفكر بما أريده أنا. وبما أننا نتوقع قرب موعد زفافنا فلست أرى ضيرا فى قضاء الليل هنا.

وتراجعت إلى الخلف:

بيدرو!

ولكنه أطبق يداه على خصرها وابتسامة تتسع على وجهه:

تعالى إلى هنا.. يا حلوتى. لقد قلت لى آخر مرة أنك تحبينى، ولم يكن لدى الوقت لأفكر بما قلتيه... وأنا أنوى التفكير بهذا الآن.

لماذا.. لماذا عدت يا بيدرو.

وكانت لا تزال تقاوم، فهى لم تعد تجرؤ على أن تغوص فى حمى هذين الذراعين مرة أخرى.. ولكنه جذبها إليه، وعيناه، تتفحصان وجهها.

لقد عدت لأجل إمرأتى. ولا يعجبنى أن أراها قد هزلت وشحبت فى غيابى.

وحدق فى عمق عينيها ويده تعبث بذهب شعرها:

لم أكن أجـــرؤ على الأمل بأنك تحـــبـــينى إلى هذه الدرجة.. كنت قلقا دونك. هذه الأسابيع بدت لى كسنوات، ولقد انتظرتك طويلا.. فلا تتركنى انتظر أكثر، لم أزعجك بمداعباتى بعد الآن.. ولن أوذيك.

كان هناك ارتجاف فى صوته فنظرت إليه:

بيدرو؟

فقال بصوت منخفض:

أحـبك يا لوسى. وإذا لم تتزوجـينى فلن أتزوج أبدا. عرفت هذا لحظة رأيتك وأنت فى السابعة عشرة.

وشدها إليه، فأحست بتوتره، ورأت الحب فى عينيه، وهمس:

أريدك.. وهذه المرة لنفسى.. وأظن أنك مدينة لى بهذا القدر وبإمكانك إثبات كم تحبينى.

وأين كنت طوال هذه المدة؟

لقد قال لها إنه يحبها وقلبها يغنى لهذا، ولكنها أرادت أن توبخه، أن تطالبه بتفسير... فقال لها قلقا وهو يجلس

إلى حافة طاولة صغيرة:

لقد كنت أنقذ خوسيه.. خوسيه ريكليس، زوج إليان.. إنه غبى.. فقبل أن نسافر مع جدك إلى نيويورك اتصلت بى إليان مذعورة.. فقد خطف خوسيه، وحياته مهددة إذا لم تدفع فدية. وكان على أن أختار بين صحة جدك وراحة بالك وبين ابن خالى. ولم يكن الخيار صعبا. ولكن بعد أن سويت كل الأمور هنا، كان على الذهاب. فهو على كل الأحوال ابن خالى.

ولماذا لم تخبرنى؟ لماذا تركتنى أعتقد...

ورد معترفا:

كان هناك بعض الخطر.. واستعادته مخاطرة، فالخاطفون يفضلون الحصول على. ولم أر حاجة لأن أقلقك.

فشهقت:

تقلقنى! لقد كنت أذبل يومياً!

أرى هذا.

وضاقت عيناه عليها بإشفاق، وبدأت ترتجف:

بيدرو! كان يمكن أن تتأذى.

ربما، ولكننى قادر على العناية بنفسى. كذلك لدى أصدقاء فى الكثير من مجالات حياتى. وهكذا لم يتأخر الكشف عن مكان وجود خوسيه. ولقد وضع البوليس العصابة كلها وراء القضبان، ويجب أن أعترف أننى عندما سمعت الطريقة التى أحتج فيها خوسيه على تأخرنا فى إطلاق سراحه وددت لو أننى أسجنه بنفسى.

ووقف ثم تقدم نحوها:

والآن وقد عرفت كل شئ، هل ستثبتى لى أنك تحبينى؟

اوه.. بيدرو.. سأفعل!

ولفت ذراعيها حول رقبته، فرفعها عن الأرض، وشدها بين ذراعيه القويتين. وقال مقسما:

لن نفترق ثانية أبدا. بدونك الدنيا كلها فارغة، سأجعلك سعيدة فى كل يوم من أيام حياتك.. ولكن لا تتركينى أبداً. فإذا نظرت حولى ولم أراك... سأفقد عقلى.

وقالت واعدة، تضحك وتبكى فى آن واحد، وشفتاها

تطبعان قبلات سعيدة على وجهه.

سأكون دائما موجودة معك..

فيما بعد، وهى مستكينة بين ذراعيه، وأصابعها تتحسس خطوط وجهه القوى الوسيم نظرت إليه وسألته:

لماذا تركتنى أول مرة؟

لأننى أتيت إلى الكلية ورأيتك يا حبيبتى، كنت قد حصلت على جائزة الفنون الكبرى التى تكلمت بشغف عنها.. وكنت تتوقدين حيوية من السعادة، وأحسست بالشك لأول مرة فى حياتى. هل بإمكان كل حبى، كل ثرائى، أن يعطيك مثل هذه السعادة؟ فحتى فى ذلك الوقت كنت فنانة لا معة، ذات موهبة لا يمكن لها إلا أن تتألق. ولكننى لم أكن واثقا أن موهبتك ستنمو وأنت معى، فحياتى مسيرة حسب عملى، بالألتزام للعديد من الناس.. بينما أنت.. أنت كنت تسيرين فوق الريح. كنت صغيرة، وحياتك كلها أمامك، وأعطيتك الوقت لتفكرى، لتعيدى النظر فى أى طريق ستسلكين.. وعلمت يومها أننى لو أنتظرتك لأتكلم معك، فستأتين إلى لتبكى على كتفى، ولن يكون هذا هو

الخيار لك. فتركتك دون أن أراك ثانية، لأن هذا أفضل لك.

فهمست له:

ظننتك لن تعود.

أعلم... ولكننى دائماً كنت أراقبك من بعيد.

وهل كنت تتبعنى؟

واستوت فى جلستها لتنظر إليه، عيناها واسعتان وفيهما بعض الأرتباك والأنزعاج.. فضحك:

لم أفعل هذا. فلست أملك مثل هذه الجرأة.. وما كنت أنجح فى دور جاسوس.. كنت سأمسك بك، لا أن أبقى صامتاً وراءك. لا.. فمكتبى كان يراقبك دوما.

ولكن هذا أمر خسيس يا بيدرو!

لا.. يا حبى.. فكيف لى أن أعرف أخبارك، وأن أتأكد أنك لم تتعلقى بغيرى. على كل لم ألاحقك طوال خمس سنوات، ولكن لفترة جعلتنى أتأكد أنك استعدت عافيتك.. ولم .. تواجهى أية مصاعب.

وبعدها نسيتنى.

بعدها انتظرت. وذهبت إلى كاراكو لأعيش هناك.. وكنت آمل أن تأتى، ولكنك لم تفعلى. ولكننى كنت أعرف أنك ستأتين يوما . وعندما اشتريت المنزل من جدك، حصلت على مكان للراحة، لأحلم بك، مكان لأنتظر فيه.

ولنفرض أننى لم أذهب إلى كاراكو؟

ليس لدى صبر لا ينفذ. فلو لم تأت لأتيت وراءك أصيدك!

وشد على أسنانه مكشرا، مما جعلها تشهق فزعا، فضحك:

ولكنك أتيت يا حبيبتى، وكنت كما أنت، دافئة كأشعة الشمس، حافية القدمين، وعيناك الخضراء بلون البحر المتقلب. وكانت هذه النهاية لك، يا قطتى الصغيرة.

وهل كنت ترغب بى طوال كل هذه السنين، حتى وأنت لا ترانى؟

لقد كان لدى صورة لك. علقتها فى غرفة نومى منذ أن سكنت الجزيرة. وهى أول ما أراه صباح كل يوم وآخر ما أراه قبل أن أنام. وسترينها عندما تنامين فى الغرفة فى المنزل، فى الجزيرة.. معى.

واستند إلى مرفقه لينظر إليها.

على كل.. لقد رأيتك بعدها، ففى السنة التى تلت أتيت إلى نيـويورك، وانتظرت خـارج الكليـة على أمل رؤيتك. ورأيتك. أتيت سائرة عبر الشارع وكأنك لا تحملين أى هم من هموم الدنيا، وكان معك شاب، شاب من مثل عمرك. وتركك عند مدخل الكلية وقبلك مودعاً.. وبدوت لى سعيدة. لذا لم أخرج من سيارتى. ومازلت أنتظر.. والآن يبدو أنك ناجحة تماماً بدونى.

فتنهدت بأسف:

لوأننى رأيتك!

ولماذا؟ عندها مـا كنت عـرفت مـعنى شق طريقك بنفسك. على كل الأحوال كنت قد تركتك، ولما كنت رغبت فى الحديث معى.

فقالت معترفة:

كنت قد تألمت كثيراً.. وكنت سأصرخ فى وجهك ولكنت صرخت فى وجهى. ولكان الجميع عرف بأمرنا. ولكنا تزوجنا منذ زمن بعيد.

آه.. كنت إذن متشوقة للزواج منى؟ وماذا عن ذلك الولد...؟ لم يبدو عليك أنك قاسيت كثيراً.

وأحست بسعادة مجنونة لأنه غار. فتحركت إلى مابين ذراعيه. وهمست:

لقد حاولت أن أنساك.

فسألها بصوت أجش:

وهل نسيتنى؟

لا.. لقد استمريت فى احتلال تفكيرى.. وقررت أن أكرس نفسى لعملى... ولم يبدو لى أى رجل بمثل مقاييسك، متى نستطيع الزواج؟

لقد قيل لى أن تأخير بضعة أيام أمر ضرورى.. فهل تظنى أن أمك يمكن أن تنظم كل شئ فى فترة قصيرة كهذه؟

فردت ضاحكة:

أنا واثقة من قدرتها. وكذلك أنا. ويمكن لأمى أن تجلس وتصفق.

لقد اتفقنا إذن، وفى هذه الأثناء.. ستسكنين معى..

لقد استأجرت منزلا لا يبعد عن هنا كثيراً. لقد دبره لى الرجل الذى اشترى الملابس. واليوم ذهبت لأرى المنزل. إنه جميل.

واحتجت لوسى قائلة:

وماذا سيقول الناس؟

فليقولوا ما يشائون.. شرط أن لا أسمعه. ولكننا لن نقول لجدك... فعقليته كاريبية، ولا أريد أن أكدره.

وقالت له متذاكية:

إنه أمـيـركى من أصل اسكتلندى.. فـلا تحـاول أن تسرقه منى!

سأقتنع بسرقتك أنت يا حبى.. هل أنت نادمة يا لوسى؟

اوه.. لا يا بيدرو، فأى فخ تنصبه لى سأسير إليه وأنا سعيدة، فما أريده هو أن أكون معك.. وأنت تقرأ ما فى قلبى كما أعتقد.

وأنت تقرأين ما فى قلبى.. وهكذا كان الأمر دوماً. وستكونين حرة فى اتباع رغباتك. ولكننا لن نكون أحرار

أبداً فى الأبتعاد عن بعضنا.

وقالت له هامسة وهى ترتجف:

لن أرغب أبدا أن أبتعد عنك.

وأحست أنها كانت ضائعة وعادت إلى بيتها، إلى الأمان والهدوء. إلى الفرح والسعادة.. ولا شئ غير هذا يهم. وامتلأت بالحيوية والنشاط أكثر مما أحست بهما منذ سنوات.

سأعود إلى عملى!

فضحك بنعومة وشفتيه على شعرها:

ليس الآن يا حبيبتى!

أعطنى قليلاً من الوقت لأتعود على طرقك الغريبة فى الحياة، وفيما بعد، إذا كنت تذكرين، لدى خطط أخرى لك.

وتذكرت... تذكرت كلماته على الشاطئ.. وأحست بالحرارة تتصاعد إلى وجنتيها..

وكان هناك إبتسامة على شفتيها.. عندما سعى إليهما.